كتاب الهلال

مدرسة المغفلين

تأليف

توفيق الحكيم

العدد ٣٣

٨ قرش

AUB. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

A.U.B. LIBRARY

كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال

892.73
Ha438mdA
c.1

مدرسة المغفلين

بقلم

توفيق الحكيم

حقوق الطبع محفوظة لدار الهلال

مقدمة

بعض القصص التى يضمها هـــذا الكتاب قد بنى على حوادث وقعت بالفعل فى مجتمعنا ، كما أن بعضها بنى على ما يحدث فى الحياة الانسانية . وهناك فرق بين تصـــوير المجتمع وتصوير الحياة ، فمصور المجتمع لابد أن يتقيد بما رأى وشاهد وعرف ، اذا أراد أن يكون صادقا ، فلا ينبغى له التعرض لبيئة أو طبقة لا يعرفها

ملاحظة الواقع شرط من شروط التصوير الاجتماعى.. أما تصوير الحياة فأمر آخر ، لان الحياة أشمل من الواقع . فالحياة الانسانية يدخل فى نطاقها الواقع وغير الواقع ، لان حياة الانسان ـ على خلاف حياة النبات والحيوان ـ لا تقف عند حد الوجود المادى .. بل هى تشـــمل الوجود فى مختلف نواحيه ، المنظورة وغير المنظورة ، المادية والروحية

ولعل سمو قصة « هاملت » لشكسبير راجع الى احاطتها

الكاملة بالحياة البشرية ، فى غرائزها ومشاعرها وخيالاتها وأشباحها وتفكيرها ، فيما هو كائن على الارض وما هو غير كائن الا فيما بعد الموت ...

حياة الانسان هى أعجب ما فى الخليقة لانها أوسع ما فى الخليقة

والقصة القصيرة ، باعتبارها لونا من ألوان الفن ، يجب أن تتناول ذلك كله فيما تتناول من شئون الانسان فى مجتمعه وحياته . ومهمتها فى ذلك عسيرة . لانها فن اقتضاب وتركيز ، شأنها فى ذلك شأن المسرحية والقصيدة

وهذا التركيز هو الذى قد يجعل منها فن المستقبل ـ فى رأى بعض أهل الأدب العالمى اليوم ـ ذلك أن أدب المستقبل لن يحتمل الاسهاب . وقارىء اليوم والغد يكاد تكفيه اللمحة الخاطفة لادراك الصورة الكاملة ، وتكاد تغنيه الاشارة عن الاطناب فى العبارة

فالقارىء الحديث الذى يعيش فى عصر الطائرات النفاثات لن يطيق طويلا الاسترخاء فى مطالعة مئات الصفحات ليحيط بصورة من الصور أو شخصية من الشخصيات . كما أن وجود الراديو والتلفيزيون لن يتيح وقتا لقارىء ينفقه فى مطالعة كتاب طويل الى جوار المدفأة، كما يقول الاوروبيون.

فان ركن المدفأة الذى ترعرعت فى كنفه القصص الطويلة لأمثال بلزاك وفلوبير ودستوفسكى وتولستوى وسكوت وديكنز وغيرهم ، هذا الركن لم يعد يحتله الكتاب وحده الآن كما كان فى الماضى . بل يشاركه فيه اليوم صناديق الفن الصوتى والمرئى وبرامج مختلفة من مسموع ومنظور

أترى مجد القصة الطويلة قد انقضى بانقضاء القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ؟

مهما يكن من أمر ، فان طابع المسرحية والقصة القصيرة بما فيه من ضغط وتركيز وايجاز وتلميح هو الأدنى الى طابع العصر الحديث فى مستقبله القريب

ومن يدرى ؟ فقد تدور الأيام دورتها وتصبح البلاغة فى عرف العالم القادم ، كما كانت فى عرف الأدب العربى الغابر ، هى بلاغة الايجاز ، يفرضها على العالم اليوم عصر السرعة .. كما فرضها قديما عند العرب الرحل سرعة تنقلهم بين واحات الصحراء

السرعة فى كل زمان ومكان تنمى فى الانسان سرعة الادراك وسرعة التلقى والاستيعاب ، فيتخذ الفن تبعا لذلك من القوالب ما يتفق مع روح العصر والحياة

توفيق الحكيم

مدرسة المغفلين

هب من فراشه بعد منتصف الليل على طرق الباب ، وقام ليفتح ، وهو كالسكران من حلاوة النوم ، ومشى فى دهليز مسكنه الذى يبيت فيه وحده ، مشية غير الواثق من يقظته ، ثم فتح بغير تفكير ، واذا شاب يدخل صائحا :

ـ ارحمونى .. ارحمونى ..

ويندفع الى البهو ، فيضىء أنواره كلها ، ويختار مقعدا ضخما فخما يرتمى فيه ، ويخرج من جيبه ورقة ، طفق يقرأ منها بأعلى صوته :

ـ ارحمونى .. ارحمونى ..

فأقبل صاحب البيت يجر قدميه ويسأل متثائبا :

ـ ما هى المسألة ؟

ـ المسألة خطيرة جدا ، انه الحب ، انه السهاد ، انه البعاد .. طول الليل وأنا أنظم هذه القصيدة ، لعلها ترق وتحن ، لقد قطعت لها قلبى ، لأضع فى كل كلمة قطعة .. اجلس واسمع ...

فلم يجد صاحب الدار بدا من الاذعان ، فالضيف صديق لا يجب اغضـــابه ، وهو فى عرف الذوق واللياقة مكلف باكرامه وارضائه ، فجلس مكرها ، يغالب الكرى ويتجلد ، ويصارع النعاس ويتماسك ، ليسمع شعرا ونظما فى الهزيع الاخير من الليل

ونشر الضيف الورقة فى يده وأنشد :

ارحمونى .. ارحمونى ..

طـــار نومى من عيـــونى

وتنبه صاحب البيت وقال وهو يفرك أجفانه الحمراء :

- عيون من التى طار نومها ؟

- عيونى أنا طبعا

- آه .. طبعا

ومضى الضيف فى التلاوة ، حتى قطع فيها شوطا ، فلم يجد لانشاده صدى ، ولم يسمع على خريدته تعليقا . فرفع بصره الى ذلك الذى يلقى عليه أبياته ، وينثر عليـه آياته ، فوجده يترنح ويتمايل .. لا من الاعجـــاب .. ولا من الطرب .. طبعا ..

فكف عن القراءة وصاح :

ـ أنا آسف ، يظهـــر أنك متعب ، خـير الأمور أن تقوم ...

فأيقن النـائم بالفرج ، ولم ينتظر ، ووثب من مقعده ، كأنه عبد أعتق ، أو سجين أطلق ، ولسانه يلهج بالشكر ، ولكن الضيف استأنف :

ـ نعم ، خير الأمور أن تقوم فتصب على رأسك كمية من الماء البارد ، لتفيق وتنشط وتسمع بقية القصيدة ، لأنهـا طويلة جدا

وهنا لم يطق صاحب البيت صبرا . ولم ير فى ذمتـــه للضيافة حقا. فانفجر يلعن الحب والمحبين ، والشعر والنثر ، وقصائد الغناء والبكاء ، وكل ما على الأرض من نساء .. وترك المكان . وذهب الى حجرته ، واندس فى فراشه ونام

▭

مرت شهور على تلك الليلة ، وهو لا يعلم من أمر صديقه المتيم شيئا .. ثم ترامت اليه الأخبار بأن ذلك الغرام الذى أنشدت فيه القصائد بعد منتصف الليل ، قد جر صاحبه الى

أحرج المآزق ، فالحبيبة معلقة بعنقه كأنها قصيدة من معلقات الكعبة . لابد من الزواج. تلك صيحتها التى لا تنزل عنها ، وبغيتها التى لا مفر منها . ولكن كيف يتزوجها ، وقد عرف عنها ما عرف ؟ انها فتاة لعوب ، من أولئك الفتيات المعروفات على شواطىء المرح ، المبرزات فى ملاهى الغـــزل . كم داعبت ولاعبت . وفتنت وسحرت . ولو أنطق الله سلك التليفون لجهر بعدد مغازلاتها . ولو تحدثت رمال البـلاج وموائد « الأوبرج » ، لما اختلفت على مقـــدار غمزاتهـا وبسماتها ولفتاتها . .

ووقف حبيب الأمس وقفة الذائد عن عنقه ، الغيور على اسمه وشرفه . كل شىء الا الزواج من هـذه الفتاة . ان الحب شىء والزوجية شىء آخر. انه ليس مغفلا حتى يخلط بين مسائل الغزل ومسائل المستقبل . . لا . . لن يتزوجها. على الرغم من جمالها الفاتن ومركز أسرتها البارز . أما هى فقالت بلسانها ولسان من توسط فى الأمر أن لعب الفتاة قبل الزواج لا يدل على شىء ، وقد أصبح مألوفا فى عصرنا الحـاضر . عصر الحرية والنـــور . فكثير من الزوجات الناجحات شبعن لعبا ومغازلة قبل الزفاف. انها حجة واهية، يجب ألا يتذرع بها رجل جاد . . .

وانتصرت المرأة فى النهاية، كما تعودت دائما أن تنتصر. ووقع الرجل فى « الزوجية » كمن يقع فى « حفرة » .. لا يدرى كيف لان وأذعن ، وقال « نعم » .. ولا يذكر بالضبط كيف ساخت قدمه .. ولكنه أخذ يعلل نفسه ويمنيها ويقنعها بقوله : « مع غيرى ربما صحت المخاوف... ولكن معى أنا ، مع مثلى !.. وأنا أعرفها أكثر من أمها التى ولدتها ، وهى تعرفنى وتعرف طباعى العنيفة وشكيمتى القوية وغيرتى الشديدة وعينى الساهرة .. »

هذا ما كان من أمر الضيف المغرم ، أما ما كان من أمر صاحب البيت ، فهو لا يعرف الشعر ولا الحب . وكل ما يعرف أن وحدته فى بيته قد ثقلت عليه . وأن البيت بلا امرأة جسد بلا روح . وأن همه فى منزله أن يخرج من حجرة ليدخل أخرى ، ولسان حاله ينطبق على الأغنية الشعبية القديمة :

« العزوبية » طالت عليه
يا أمى اخطبى لى حلوة وغنية

ولم يكن لديه أم تخطب له . ولم يكن من الضرورى

عنده أن يتشبث بشرط الحلوة الغنية . يكفيه الحل الوسط. انه رجل مسالم قنوع ... ولكن ، من يبحث له ؟ وهنا تذكر سيدة من صديقات الأسرة .. امرأة نصف وزوجة رجل محترم ، لها علم راسخ بأخبار المجتمع الراقى .. خاطبها بالتليفون ، وأبان لها عن طلبته . فقالت ضاحكة : «أتقبل نصيحتى ؟ الزواج فى عصرنا الحاضر كما يقول المثل السائر : « على عينك يا تاجر » .. الطريقة المتبعة الآن أن تحضر المجتمعات والحفلات وتختار من تعجبك ، وتسأل عنها .. وها هى الفرصة سانحة. فى الاسبوع المقبل حفلة خيرية فى « الاريزونا » ستلقى فيها كل أنيقات القاهرة ، من سيدات وفتيات . تعال وانظر .. وأخبرنى هناك وأنا أدلك ... »

▭

ووافى موعد الحفلة الخيرية . وكان مساء جميلا لمعت فيه عيون النجوم وتألق القمر . فارتدى رداء السهرة ، وذهب على بركة الله . ولم يمض قليل ، حتى غاص فى بحر أضواء السماء والكهرباء والنساء ، وأوغل فى روضة الشجر والبشر . وامتدت حوله أيدى الاغصان وأذرع

الحسان . واستقبلته كواعب بائعات الفتنة فى صورة بائعات للورد. وأحطن به من يمين ومن شمال. انه حصار الجمال. ورد يبيع وردا . وأزهار تحمل أزهارا . فأخرج من جيبه النقود عن غير وعى ، ونثر وبذر ، ليحصد البسمات والنظرات . ها هى ذى سوق الملاحة والرشاقة والدلال ماذا يأخذ منها ، وماذا يدع ؟ ومن يحب ومن يكره ؟ ومن ينبذ ومن يختار ؟. فغشى بصره ، وزاغ نظره . وارتبك وحار ... ثم انتبه على صوت يناديه . فاذا هى السيدة الخبيرة التى سألها هدايته. أقبلت عليه وقادته كالربان الماهر ، فى خضم موائد الأكل ومواكب الحسن . وهمست فى أذنه :

ـ ألم تعجبك واحدة ؟

فقال على الفور :

ـ أعجبنى الكل : أحب هذه ذات الثوب الوردى، وأحب تلك ذات الثوب البرتقالى، وأحب الدانية ذات الثوب البنى. وأحب البعيدة ذات الثوب الكحلى . وأحب الضاحكة ذات الثوب البندقى ، أحب هذه ، وهذه ، وهذه ، وهذه ... أحب الجميع ...

فضحكت وقالت :

ـ ليس من المعقول أن تتزوج كل الحفلة . يجب أن يقع اختيارك على واحدة بالذات

ـ هذه الحفلة «الخيرية» وان شئت فقولى « سوق النخاسة العصرية » ، تعج ببضاعة تبهر العقل .. ولم أعد أدرى أأنا البائع فى هذه السوق أم المشترى ؟ لقد تهت وضللت .. تخيرى لى أنت بصائب حكمتك وواسع خبرتك !..

فأشارت الى مجموعة من النساء متلألئة، تزرى بالمجموعة الشمسية ، وقالت :

ـ ألق نظرة على هؤلاء ..

ـ أكلهن للزواج ؟

ـ بالطبع . كل من ترى هنا.. الفتيات يردن أن يتزوجن والزوجات يردن أن يتطلقن ..

فأرسل نظرة شاملة على تلك النحور العارية ، والصدور المكشوفة ، والبسمات الفاتنة ، والنظرات المفتونة ، وقال فى نفسه : أين ذلك العهـــد الذى كانت تسمى فيـه المرأة « السيدة المصونة والجوهرة المكنونة » ؟! ترى ماذا يجب أن تسمى اليوم ؟..

وأخذ يفكر فى اسم أو لقب أو وصف يمكن أن ينطبق عليها الآن .. ولكن حبل تفكيره انقطع فجأة .. فقد لمح عن بعد صديقه الضيف،صاحب القصيدة ، يدخل من الباب، وقد أحاطت به بائعات الورد كالمعتاد .. ولمحتـــه فى عين الوقت الست الدليلة الهادية ، فهمست قائلة :

ـ صاحبك !..

ـ نعم . انه يدخل وحده . عجبا !.. أين زوجته اذن؟ بلغنى أنك كنت احدى الساعيات فى الخير بينهما .. وكنت ممن توسط فى أمر ذلك الزواج

فقالت السيدة بصوت الجد :

ـ حقيقة .. شوشو صديقتى ، وكنت أظنها تمشى بعقل بعد زواجهـا . ولكن ، كلام فى سرك .. أنا لا أحب أن أكون مسئولة عنها الآن . أنا أفهم أن يكون للزوجة بعض الحق فى اللهو .. ولـكن عـلى شرط أن تكون فى منتهى الحذر حتى لا يلحظ عليها شىء .. وأن تتصرف بغـــاية الحرص حتى لا يبدو على سلوكها شك . أما شوشـو فلا أدرى ماذا جرى اليوم لعقلها. .انها ـ فضلا عن علم الجميع بأن لها حتى الآن أربعة عشاق أو خمسة فى نفس الوقت ـ

لا تحـــاول أن تدارى أمورها ، أو تستر تصرفاتهـــا . تصور أنها فى وضح النهار تنزل من سيارتها أمام دهبيـــة معروفة ومعها حقيبة صغيرةتحوى « بيجامتها » الحريرية.. وكل هذا تحت سمع السائق وبصره ، وتحت نظر من يمر من المعارف والفضوليين الذين قد يعرفون السيارة وصاحبها .. لا .. شوشو فى الحقيقة متهورة اليوم أكثر من اللازم، وانى أرى منها كل ذلك وأقول فى نفسى : «ربنا يستر».. فكل الناس يعرف سيرها الآن .. أمرها شاع ورائحتهـ فاحت ...

ـ وزوجها .. ألم يشم الرائحة ؟

ـ الظاهر أنه مزكوم ، كأكثر الازواج

وكان زوج شوشو عندئذ قد تخلص من بائعات الورد ، وسار يفحص بعينيه الجموع ، كأنه يبحث عن أحد . حتى أشرف عليهما .. فلما صار عـلى خطوات منهما لمحهما هو الآخر فأسرع نحوهما وحياهما . وعاتب صديقه صـاحب البيت عتابا هادئا يخالطه المزح ، لما لقيه فى بيته من اهمال ، تلك الليلة التى تفجرت فيها شاعريته .. على أنه انتقم ،كما قال ، فلم يدعه الى حفلة قرانه ولا الى بيت عروسه..وهنا

التفت الى السيدة قائلا بلهجة العجلة واللهفة :

ـ شوشو .. ألم تلمحيها هنا ؟ لقد سألتنى أن أسبقها.. قائلة انها ستمر ببعض صديقاتها أولا .. وقد رأيت الذهاب لبعض أعمال أخرتنى ، وجئت حاسبا أنى أجدها.. لا شك أن حديث صديقاتها شغلها عن الوقت.. انه لمن حسن الحظ أن أقابلك هنا الليلة. انها خير مناسبة أقدم لك فيها شكرى. كاد يمضى نصف عام على زواجى ، الذى توسطت أنت فيه ولو تعلمين كم أنا سعيد !.. لقد كنت مغفلا يوم ترددت وتمنعت وتخوفت . ألا تذكرين كم جاهدت أنت لاقناعى ؟ الحق كان فى جانبك . شوشو اليوم ملاك . وانى أضحك من نفسى لرأيى السابق فى طيشها. انك ولا شك قد لاحظت اليوم كم تغيرت وعقلت . الحمد لله ، مخاوفى كانت فى غير محلها . لقد ظلمت المسكينة . وهى فى الحقيقة زوجة طيبة مخلصة يندر أن يوجد لها مثيل ..

ومضى فى هذا الكلام .. وصديقه « صاحب البيت » يصغى اليه فاغرا فاه .. لا يصدق ما يسمع . الى أن تأكد له أن أذنه لم تخدعه .. فهمس قائلا :

ـ انا لله وانا اليه راجعون !

ولم يلبث هـذا الزوج أن جذبته من ذراعه يد أحد المعارف . فاستأذن ومضى معه الى مائدة عامرة بالأصدقاء وترك صاحبه والسيدة الدليلة الهادية يتبادلان النظرات ، صامتين بلا تعليق .. وأخيرا نطقت السيدة قائلة :

ـ والله شاطره !..

ـ شاطره !؟ وهل هذا مصيرى أنا أيضا ؟ وهل نصيحتك لى ستكون من هذا القبيل ؟

فضحكت وقالت :

ـ لا .. لا تخف .. ظروفك أنت مختلفة كل الاختلاف ومع ذلك .. ما دمت قد رأيت بعينك وسمعت بأذنك فلا يصح لى أن أغشك .. هل تريد الصراحة ؟ اذن اسمع رأيى : هذا جيلك الجديد وهذا عصرك . خذ الأمور كما هى ولا تخدع نفسك . واعلم أن أكثر النساء هنا لكل واحدة منهن على الاقل عشيقان أو ثلاثة .. وان تلك التى يقال انها نظيفة السمعة ولم يسمع عنها أحد شيئا ، هى التى لها عشيق واحد .. فاذا أردت منى أن أغالطك ، أو أن أشجعك على مغالطة نفسك ، فهذا أمر آخر .. ولكنى أنصحك أن تنظر الى الواقع اليوم بعين الواقع ...

وسكتت لأن الموسيقى الراقصة دوت فى المكان ..وقام من كل مائدة زوجان .. ودق الطبل ورن النحاس وعوى « السكسوفون ».. فكان لمزيج أصواتها صدى يشبه صراخ الحيوان الجوعان .. ولعبت الاجساد بالاجساد..واحمرت العيون وندت الشفاه واتسعت الاحداق .. واضـــطربت الافكار فى رأس «طالب الزواج» ماذا يصنع ؟ وماذا يقول؟ وعلى ماذا يعول ؟..

وظل فى اختلاط فكره وحيرة رأيه ما ظلت الرقصة فى اختلاطها ولعبها بأفئدة الراقصين والمشاهدين ... الى أن انتهت الرقصة . وصمتت الموسيقى ، وصفق الحاضرون . وأقبل البعض على البعض يتحادثون ... فالتفتت السـيدة الهادية الى زميلها الخاطب قائلة :

– لم أتلق جوابك .. ماذا قررت ؟

فأطرق لحظة ، ثم رفع رأسه وقال :

– أمرنا الى الله . ابحثى لنا اذن عن واحـدة شريفة ، عفيفة ، سمعتها طيبة ، ليس لها غير عشيق واحد !!!

الشيخ البلبيسي

لم أره قط رؤية العين .. ولكنى سمعت به ممن رأوه وعرفوه .. فقد كان لذلك الرجل صيت فى الاقاليم منذ أكثر من ثلث قرن .. كان رجلا فارع الطول ، فيما يقال، ضخم الجرم ، ذا هيئة تفرض على الناس التبجيل والاحترام .. وكان شديد العناية بثيابه ، لا يرتدى منها الا ما غلا فى الثمن وزاد فى المهابة.. كان عظيم الهامة ، أشيب اللحية ، طويل المسبحة ، كبير العمامة ..

▭

روى لى محدثى عنه قائلا :

– عرفت الشيخ « البلبيسى » لأول مرة فى دار الباشا المدير . دخلت عليهم فى تلك « المنظرة » التى كان يجتمع فيها من حين الى حين جلة علماء المديرية وأكابر أعيانها : فأبصرت « الشيخ » بطلعته الجليلة فى صدر المجلس ، فما شككت فى أنه أعظمهم فضلا وأرفعهم قدرا .. فلما قدمنى

اليه المدير ، لم أنتظر حتى أعى اسمه ، وانكببت ، لهيبته ، على يده أقبلها .. فسحبها منى برفق وأفسح لى مكانا الى جواره ، وهو يقول بصوته الوقور :

ـ أستغفر الله يا بنى ، أستغفر الله !... على من أخذت العلم فى الازهر الشريف !؟..

فعلت وجهى حمرة الخجل وقلت :

ـ لم أدرس العلم .. ولكنى رجـــل مزارع من ذوى الاملاك ..

فربت على يدى بكفه قائلا :

ـ وأنعم بالزراعة والزراع !. من يزرع خيرا يحصـد خيرا ، ومن يزرع ...

وسعل سعالا خافتا غريبا كأنه عواء .. جهـد فى كتمه بكمه ومضى يقول متلطفا :

ـ كيف اتفق أننى لم أرك هنا من قبل ؟

فقلت وأنا ألقى نظرة على الباشا المدير المتشـــاغل عنا بضيوفه وهم يتحـــدثون ، فيما بينهم ، هامســـين ، حتى لا يزعجونا ، فيما اعتقدت ، بأصواتهم :

ـ انى قليل المجىء الى البندر .ولا أغادر أرضى وعزبتى

الا اذا دعتنى الى ذلك المصالح أو الضرورات ..

فقال الشيخ وهو يعد بأصابعه المرتجفة حبات مسبحته :

ـ حسنا فعلت يا بنى .. لقد قالوا فى الأمثال : الارض التى لا ترى قدم صاحبها لا تفلح ...

وسعل ذلك السعال الغريب المكتوم وقد وضحت معالمه المشابهة لعواء الكلب .. فأخذتنى رعدة .. وأحس ذلك منى .. فمال على أذنى هامسا :

ـ هل أزعجك سعالى ؟ . لا تخش شيئا .. هـذا أمر يأتى أحيانا ويمر مر الكرام ..

فقلت له باطمئنان :

ـ بل لا تنزعج فضيلتك .. انما هو برد عارض من برد هذه الايام ..

فقال لى بنبرة وقورة هامسا :

ـ لا .. يا بنى .. هـذا ليس ببرد .. انى ما تعودت الكذب . انما هو مرض آخر ..

ـ ليس خطيرا على كل حال ..

ـ أرجو أن يبرئنى الله منه ..

وسعل .. أو على الأصح عوى كالكلب .. وهو يسد

فمه بكمه حتى لا يبلغ الصوت أسماع الحاضرين .. وألقى عليهم نظرات قلقة مضطربة .. وهمس فى أذنى :

ـ لعل سـعالى لم يصل اليهم . أما أنت فمثل ابنى .. ولعلك تكتم عنى .. انها بليـة ، ابتلانى بها الله .. وهو لا يبلو الا عباده الصالحين .. أسأله تعالى أن ينهى هـذه الازمة على خير حتى أنصرف عن هذا المجلس ..

فأخذتنى به شفقة..ورأيته يلم أطراف عباءته ، ليسرع بالنهوض ، ولكن السـعال أو العواء أدركه .. فلبث فى مكانه يحشو فمه بكمه .. حتى هدأ قليلا .. فقلت له :

ـ أما من علاج لهذا ؟..

ـ العلاج بيد الله .. وأخشى أن يكون قد فات أوانه.. كل ما أرجوه ألا يكون دائى خطرا على النـاس .. كفى ما حدث لذلك الخادم المسكين ..

ـ ماذا حدث له ؟..

قلتها مرتاعا .. فقال بصوت مرتجف متعب جاف :

ـ اشتدت على الأزمة يوما . وقيل انى كنت أسعل سعالا كعواء ذلك الكلب « المسعور » الذى عضنى .. فلما أراد خادمى اسعافى ومعونتى هبرته بأسنانى وعضضته عضة أدت

الى وفاته .. رحمه الله رحمة واسعة ! ورحمنى أنا أيضا وغفر لى ..

وقطع سعاله حديثه .. وجعل يمزق كمه بأسنانه ، حتى لا يخرج الصوت من فمه واضحا .. وجعلت أنا أحاول التزحزح من مكانى مبتعدا عنه من الخوف .. ولكن احترامى له وعطفى عليه وحرصى على شعوره وخشيتى من لفت الانظار اليه .. كل هذا سمرنى فى مقعدى .. فتجلدت وقلت له بصوت متهدج :

ـ انها ولا شك أزمة خفيفة ستمر ..

ولم أتم .. فقد جحظت عيناه .. وتغير وجهه .. وأرغى وأزبد .. وكشر عن أنيابه ، وانقلب ـ فى لحظة ـ ذلك الشيخ الوقور ، الى كلب خطر عقور .. وترك كمه وفغر فاه بعواء سافر مرعب .. ومد يديه نحوى كأنهما مخالب .. وهم بالهجوم على .. وهنا لم أدر من الفزع الا وأنا أثب نحو الباب وثبة ، صدمتنى بعارضته الخشبية صدمة ، ما برح أثرها باقيا فى جبينى .. وما كدت أجد نفسى فى فناء الدار .. حتى صحت من حلاوة الروح بالخدم والحجاب :

ـ الحمد لله ! هربت بجلدى .. لكن المصيبة هى مصيبة

الباشا المدير وضيوفه .. لقد أكلهم فضيلة الشيخ ونهشهم وانتهى الأمر !..

وأردت أن أدفع بالحجاب الى داخل « المنظرة » لينقذوا من يمكن انقاذه ... واذا بى أرى الباشا المدير وضيوفه ، يتوسطهم « الشيخ » الجليل ، خارجين من الباب يتمايلون ، والضحك يكاد يقطعهم تقطيعا ..

▭

فلما انكشفت لى الحقيقة وأبديت احتجاجى .. قال لى المدير باسما :

ـ ألا تعرف الشيخ « البلبيسى » ونوادره ودعاباته ؟!.. هذا هو الشيخ البلبيسى ... هل تعرفه الآن ؟

فأشرت الى الصدمة فى جبهتى وقلت مبتسما :

ـ معرفة تركت فى أثرا !..

فتقدم نحوى « الشيخ » كما يتقدم الممثل بعد أن مسح عن وجهه طلاء التمثيل .. وقال :

ـ الحمد لله على السلامة !. ان شاء الله قريبا ..

فقاطعته صائحا :

ـ مستحيل .. لا يلدغ ـ بل قل..لا يعض ـ مؤمن..

فبادر هو يكمل العبارة :

ـ من كلب مرتين ... هذا صحيح .. ولكن من قال لك أنى سأكون كلبا فى المرة القادمة ؟

ـ اذا قابلتنى فى المرة القادمة فكن كما شئت وشاءت لك براعتك ..

ولم أقابله بعدها أبدا .. الى أن مات وذهبت أيامه .. ولم يعد لهذه المجالس و « المنادر » وجود .. وانقرض هذا النوع من الناس..وانقرض معه نوع من المواهب الطبيعية يتفجر من السليقة الانسانية ، كان لازما لادخال الانس على مجالس ذلك العهد

أن لكل عصر رجال أنسه .. ولكن عصر « المنادر » كان له رجال قلما يجود بمثلهم الزمان ..

لا آسف على شىء أسفى على انى لم أقابل « الشيخ البليسى » مرة أخرى . وان كنت على ثقة من أنه كان سيترك فى مرة أخرى أثرا لا يمحى ...

ابلیس ینتصر

اتخذ قوم شجرة ، صاروا يعبدونها .. فسمع بذلك ناسك مؤمن بالله ، فحمل فأسا وذهب الى الشجرة ليقطعها .. فلم يكد يقترب منهـا ، حتى ظهر له « ابليس » حائلا بينه وبين الشجرة ، وهو يصيح به :

ـ مكانك أيها الرجل !.. لماذا تريد قطعها ؟

ـ لانها تضل الناس

ـ وما شأنك بهم ؟ دعهم فى ضلالهم !..

ـ كيف أدعهم .. ومن واجبى أن أهديهم ..

ـ من واجبك أن تترك الناس أحرارا ، يفعلون ما يحبون

ـ انهم ليسوا أحرارا .. انهم يصغون الى وسوسة الشيطان ..

ـ أوتريد أن يصغوا الى صوتك أنت ؟!..

ـ أريد أن يصغوا الى صوت الله !...

ـ لن أدعك تقطع هذه الشجرة ..

- لابد لى من أن أقطعها ..

فأمسك ابليس بخناق الناسك. وقبض الناسك على قرن الشيطان .. وتصارعا طويلا .. الى أن انجلت المعركة عن انتصار الناسك .. فقد طرح الشيطان على الارض وجلس على صدره وقال له :

- هل رأيت قوتى !..

فقال ابليس المهزوم بصوت مخنوق :

- ما كنت أحسبك بهذه القوة .. دعنى وافعل ما شئت

فخلى الناسك سبيل الشيطان .. وكان الجهد الذى بذله فى المعركة قد نال منه .. فرجع الى صومعته واستراح ليلته ..

فلما كان اليوم التالى حمل فأسه ، وذهب يريد قطع الشجرة واذا ابليس يخرج له من خلفها صائحا :

- أعدت اليوم أيضا لقطعها !؟

- قلت لك لابد لى من أن أقطعها ..

- أوتظنك قادرا على أن تغلبنى اليوم أيضا ؟..

- سأظل أقاتلك حتى أعلى كلمة الحق !..

- أرنى اذن قدرتك !..

وأمسك بخناقه .. فأمسك الناسك بقرنه .. وتقاتلا وتصارعا .. الى أن أسفرت الموقعة عن سقوط الشيطان تحت قدمى الناسك .. فجلس على صدره وقال له :

ـ ما قولك الآن فى قوتى ؟!

ـ حقا .. ان قوتك لعجيبة .. دعنى وافعل ما تريد ..

لفظها الشيطان بصوته المتهدج المخنوق.. فأطلق الناسك سراحه .. وذهب الى صومعته واستلقى من التعب والاعياء حتى مضى الليل وطلع الصبح فحمل الفأس ، وذهب الى الشجرة فبرز له ابليس صائحا فيه :

ـ ألن ترجع عن عزمك أيها الرجل !؟

ـ أبدا .. لابد من قطع دابر هذا الشر !..

ـ أتحسب أنى أتركك تفعل !؟

ـ ان نازلتنى فانى سأغلبك ...

فتفكر ابليس لحظة.. ورأى أن النزال والقتال والمصارعة مع هذا الرجل لن تتيح له النصر عليه ... فليس أقوى من رجل يقاتل من أجل فكرة أو عقيدة ..

ما من باب يستطيع ابليس أن ينفذ منه الى حصن هذا الرجل غير باب واحد : الحيلة ..

فتلطف للناسك وقال له بلهجة الناصح المشفق :

ـ أتعرف لماذا أعارضك فى قطع هـذه الشجرة !؟ انى ما أعارض الا خشية عليك ورحمة بك .. فانك بقطعها ستعرض نفسك لسخط الناس من عبادها .. مالك وهـذه المتاعب تجلبها على نفسك ؟.. اترك قطعها وأنا أجعل لك فى كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك .. وتعيش فى أمن وطمأنينة وسلامة !..

ـ دينارين !؟

ـ نعم .. فى كل يوم .. تجدهما تحت وسادتك !

فأطرق الناسك مليا يفكر ثم رفع رأسه وقال لابليس :

ـ ومن يضمن لى قيامك بالشرط !؟

ـ أعاهدك على ذلك .. وستعرف صدق عهدى ...

ـ سأجربك ..

ـ نعم .. جربنى ..

ـ اتفقنا

ووضع ابليس يده فى يد الناسك..وتعاهدا..وانصرف

الناسك الى صومعته وصار يستيقظ كل صباح ، ويمد يده ويدسها تحت وسادته فتخرج بدينـــارين .. حتى انصرم الشهر . وفى ذات صباح دس يده تحت الوسادة فخرجت فارغة .. لقد قطع ابليس عنـــه فيض الذهب .. فغضب الناسك .. ونهض فأخذ فأسه...وذهب الى قطع الشجرة .. فاعترضه ابليس فى الطريق ، وصاح فيه :

ـ مكانك !.. الى أين ؟..

ـ الى الشجرة .. أقطعها !

فقهقه الشيطان ساخرا :

ـ تقطعها لانى قطعت عنك الثمن !..

ـ بل لأزيل الغواية وأضىء مشعل الهداية !..

ـ أنت ؟!..

ـ أتهزأ بى أيها اللعين ؟!..

ـ لا تؤاخذنى !.. منظرك يثير الضحك !..

ـ أنت الذى يقول هذا ، أيها الكاذب المخاتل ؟!.

▭

وانقض الناسك على ابليس وقبض على قرنه...وتصارعا

لحظة . . . واذا المعركة تنجلى عن سقوط الناسك تحت حافر ابليس . . فقد انتصر وجلس على صـــدر الناسك مزهوا مختالا يقول له :

ـ أين قوتك الآن أيها الرجل ؟! . .

فخرج من صدر الناسك المقهور صوت كالحشرجة يقول:

ـ أخبرنى كيف تغلبت أيها الشيطان ! . .

فقال له ابليس :

ـ لما غضبت لله غلبتنى ، ولما غضبت لنفسك غلبتك . . لما قاتلت لعقيدتك صرعتنى ، ولما قاتلت لمنفعتك صرعتك !

ليلة الزفاف

انطلقت آخر « زغاريد » ذلك القران الميمون فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل. وزف « العروسان » الى حجرتهما بعد أن رشا بالملح من عيون الحساد . وأغلق عليهما الباب وصارا وحدهما أخيرا ... وقد اجتازا الاعتاب نحو تلك اللحظة التى لم تخلق مثل كل اللحظات ... تلك اللحظة التى تشع كاللؤلؤة البهيجة فى تاج الزمان.. زمان كل فرد على هذه الارض .. من الملوك الى الصعاليك . تلك اللحظة التى بذل فيها ما بذل . ومن أجلها احتشد المعارف والاصدقاء ، واحتفل الاهل والاقرباء ، ونصبت الموائد ، وقرعت الكؤوس ، ولعب الفرح والأنس بالرؤوس ، وحمى الرقص وارتفع الغناء ، وسبح الحاضرون وعاموا فى أويقات من الهناء ... جاءت تلك اللحظة... قمة السهرة، وقبة الحفلة ، ومحراب الليلة... لحظة الخلوة بين العروسين. ويا لها من لحظة !.. كل زوج ولا شك يذكر حيرته وهو يبحث فى رأسه عن أول كلمة يخاطب بها عروسه وقد

صارا على انفراد . أيبدأ بكلمة جدية أم كلمة فكهة .. أم كلمة عاطفية ؟. وكل زوجة تذكر ولا ريب احساسها وهى تنتظر الكلمة الاولى من فم « عريسها » !

أما عروس الليلة فلم يبد عليها أنها تنتظر شيئا . فماكاد باب حجرة العرس يغلق ، حتى تركت « عريسها » واتجهت الى منضدة الزينة،وجلست ووضعت رأسها الجميل فى كفيها . ورأى « العريس » منها ذلك ، فأقبل عليها يقول :

ـ أمتعبة أنت يا عزيزتى ؟ صخب العرس أزعجك فيما أرى !..

فلم تجب.ولم ير العريس وجهها الذى تخفيه بيديها ، ولكنه لم يلبث أن رأى قطرة دمع تفر من بين أصابعها ، وتسقط على ثوب عرسها الابيض . فقال بصوت يتهدج حنانا :

ـ أتبكين يا سونه ؟!

فلم يسمع منها غير نشيج خافت . فتألم لها . انه يعلم السبب . ان سنية وحيدة أمها . وقد فقدت أباها منذ بضعة أعوام . فالافتراق عن هذه الأم العزيزة التى كانت لها كل

شيء ليس بالأمر اليسير . ولعل هذه الفكرة هى التى كانت تخيم عليها طول الحفلة . لقد كانت مطرقة واجمة ذاهلة ، قليلة الكلام نادرة الابتسام فحدب عليها ، وألصق خده برأسها ، وقال لها :

ـ لا تبكى يا عزيزتى سونة . سأكون لك أما وأبا وزوجا وأخا .. ولن أجعلك تشعرين أبدا أنك فقدت شيئا أو فارقت أحدا ..

فأبعدت رأسها عن خده ، وأرادت أن تتكلم ، ولكن الدموع غلبتها .. فبادر هو يقول لها :

ـ لا تتكلمى ! انى أعرف ما تريدين أن تقولى . اطلقى دموعك ولا تكتميها . هذا أمر طبيعى . لست أخشى الا على عينيك الجميلتين .. ولكن البكاء فى مثل هذه الحال يجلو النفس ، وعما قليل تشعرين بالراحة ، ويشرق وجهك ، كأنه شمس تسطع بعد مطر خفيف لطيف ..

فاهتزت كأن فى جوفها معركة .. ثم تشجعت وقالت والدمع فى عينيها :

ـ أريد أن أصارحك بشيء ... هل تسمح لى ؟

ـ بالطبع يا سونتى .. بالطبع . صارحينى بكل ما فى

نفسك . ألسنا الآن زوجين ؟ لا ينبغى أن يخفى أحدنا عن شريكه شيئا

ـ نعم ، من واجبى أن أقول لك .. وأرجو أن لا تتألم أو تغضب : انى أحب شخصا آخر ...

لفظتها بسرعة وقوة ، ثم استخرطت فى البكاء . ودوت هذه العبارة فى أذن العريس كأنها قذيفة ، وأذهلته المفاجأة، فلم يحس ألما ولا غضبا..بل لم يشعر بنفسه ولا بما حوله .. ولا بالوقت الذى مر قبل أن يتماسك ويثوب الى رشده، ويعى مدلول ما سمع .. وينظر فيما ينبغى أن يصنع ... وكان رجلا رزينا عاقلا فى نحو السادسة والثلاثين ، علمته تبعات منصبه المحترم أن يزن الأمور . فسرعان ما ضبط نفسه ، وقال بهدوء ممزوج بالمرارة والعتب المهذب :

ـ ألا ترين أن هذا التصريح جاء متأخرا بعض الوقت ؟ هل كان لديك مانع من الافضـــاء به الى فى أيام الخطبة أو قبل ابرام العقد على الأقل ؟

ـ كان يجب أن يتم هذا القران ارضاء لأمى المسكينة . كنت أراها أتعس مخلوقات الارض كلما حاولت اقناعهـــا بفسخ خطبتنا . لقد كان أملها الوحيد ، وحلمها الدائم أن

ترانى زوجة رجل مثلك !.. ولقد خانتنى شجاعتى فلم أجرؤ على صدمها فى آمالها..وهى مسنة ضعيفة مريضة . ان الله يعلم كم جاهدت كى أكتم عاطفتى وأخنق حبى ، وكم أردت آخر الأمر أن أفهم نفسى أن الماضى قد انتهى بالزواج .. وقد خيل الى أن قلبى قد استجاب لنداء العقل، لكنى الليلة ، وقد تم الأمر ، وأمسى كل شىء حقيقة .. سمعت صرخات قلبى تهزنى هزا وتكاد تهدم كيانى،فأيقنت انى لن أستطيع المضى فى خداع نفسى . ولا يليق بى المضى فى خداعك ..

كانت تقول ذلك وهى تشهق ببكائها وتنشج ..وأطرق العريس وفكر فيما أفضت به مليا .. ثم قال :

– تصرف سليم ، ولا غبار عليه . ثقى انى من جانبى على أتم استعداد لمعاونتك فيما يتجه اليه عزمك . الحق معك .. لا يجب أن تخدعى نفسك . استمعى الى صوت قلبك . وما دام حبك صادقا .. فليس لأحد عليك سبيل . انى أضع حريتك بين يديك منذ الآن،وأضع نفسى فى خدمتك، فلنتدبر الأمر معا..كيف نخرج من هذا الموقف أولا؟. هبى أنى طلقتك الليلة ، ما الذى سيحصل ؟ ستكون فضيحة

لن أرضاها لك ، ومصدرا للاقاويل والاشاعات حولك لن ينضب .. ثم هى صدمة قاسية لوالدتك. وأنت التى أشفقت عليها من صدمة أخف وأهون !.. اذن ماذا نصنع ؟ فكرى معى قليلا ...

ـ أصبت ... ان طلاقى الليلة فضيحة

ـ فلنبحث عن حل غير هذا ... ابحثى جيدا ...

ـ ها أنذى أبحث ..

وجلس كل منهما يفكر ، وقد جعل رأسه فى كفيه .. وأخيرا نهض العريس صائحا :

ـ وجدت حلا ، ربما كان فيه الخير ، ولكنه يتطلب منك بعض الصبر ، ومنى بعض القدرة على التمثيل .. ذلك أن أطلقك بعد شهر أو شهرين، وفى خلال هذه الفترة أتظاهر أمام الناس ، وعلى الأخص أمام والدتك ، انى فظ الخلق شرس الطباع وانى أسىء معاملتك ... بهذا نعدها اعدادا رفيقا لتحمل يمين الطلاق ... بل قد ينفد صبرها هى فتحنث قبل انقضاء المدة على طلب الانفصال ، فاذا تم ذلك رأت بعدئذ حلمها ومحط أملها فى ذلك الذى اختاره قلبك ... ما رأيك فى هذا الحل ؟

ـ مدهش !..

لفظتها وهى تريد أن تكفكف دمعها و « تنف » فلم تجد غير طرف ثوبها. فأسرع العريس قائلا قبل أن تتمخط فيه :

ـ انتظرى .. انتظرى .. خذى منديلى ، ولا توسخى ثوب عرسك ، حافظى عليه للقران الآخر !..

فتناولت منديله وهى تقول :

ـ انك رجل نبيل .. انى آسفة . ما ذنبك أنت حتى أعكر عليك صفو هذه الليلة ؟ وماذا جنيت أنت حتى تفجع هكذا فى عروسك ؟... ولعلك علقت آمالا كبارا على هذا الزواج ..

فأطرق لحظة .. ثم قال كالمخاطب نفسه :

ـ لا تذكرينى ... أقصد ... لا تعلقى على هذا الأمر أهمية

ـ انى متألمة لك ...

ـ لا تتألمى لى .. انى بخير .. انك على كل حال لست مسئولة عما وقع لى .. حظى هكذا .. حقيقة لقد وضعت فى هذا الزواج أملى ، لأنى كنت دائما رجلا شحيحا بعواطفه ضنينا بفؤاده . استغرقتنى حياة العمل ، فلم أعرف

من حياة اللهو الا القليل ، ولم أعط امرأة من نفسى شيئا نفيسا ... ادخرت كل ما فى قلبى من حب للزوجة التى هى نصيبى. كنت أتخيلها فى أوقات فراغى وهى الى جانبى، وأتخيل ما أناجيها به من حدب وعطف وحب وحنـــان ، كدسته كدنانير البخيل على مر الاعوام من أجلها .. ولكن القدر أراد أن يصيبنى فيما كنزت كما يصيب أحيانا البخلاء فيما يكنزون .. لأنه يحلو له الســخرية ممن يركزون همهم فى هدف . فيتربص بهم حتى يقتربوا منه ، فيعبث به بطرف اصبعه ، فاذا جهودهم هباء ..

ـ كل ذلك بسببى .. أنا مجرمة ..

ـ لا مطلقا .. لا شأن لك بالأمر ... ان مثلى مثـــل ذلك الذى ظل يجمع المال ويدخره ليشترى به عينا ، فلما تم له ذلك واشترى العين وجدها محجوزا عليها أو مرهونة لآخر رهنا عقاريا ممتازا لا فكاك منه .. فما ذنب العين فى هذه الحال ؟ الذنب ذنب الادخار .. والبخل .. وليتنى جعلت شعارى : «انفق ما فى الجيب يأتك ما فى الغيب» !..

ـ ان كلامك يحز فى نفسى كسكين ... لست أدرى ماذا فى امكانى أن أصنع لك .. من يدرى ؟ ربما عوضك

القدر عنى خيرا ... وجاءك الغيب بزوجة أحلامك ... انى لم أكن بك جديرة ...

ـ هذا لطف منك يا سو ... يا سنية ... سنيةهانم.. اعذرينى . لم أعد أدرى كيف أناديك ...

ـ عجبا .. نادنى كما كنت تنادينى منذ لحظة ...

ـ أمام والدتك بالطبع ... أما ونحن وحـــدنا ... فلا حق لى ...

ـ لماذا ؟

ـ لم يعد لى حق تدليلك...أنت منذ الآن ـ كما قلت لك ـ أجنبية عنى ، ولا أدرى ماذا نصنع الآن ، ووالدتك فى البيت ، ولابد لنا من المكث فى حجرة واحـــدة ... اسمعى : أنت لك السرير ، وأنا لى الارض..ها هنا بجوار الباب فى ذلك الركن البعيد...هيا انهضى الى فراشك.. أنت فى أشـد الحاجة الى الراحة الليلة ، بعد كل هـــذه الأحداث المثيرة لأعصابك

ـ تنام على الارض ؟!

ـ لا يوجد وضع آخر

ـ هذا صحيح ، مع الأسف ، ولكن سامحنى . . أرجوك .. أهكذا أجعل ليلة عرسك على هذه الصورة غير البهيجة!

ـ مالها ليلة عرسى ! انى راض بها . هل يتاح لكل عريس مثلها ؟ ثقى أنه سيظل لها دائما فى نفسى ذكرى عزيزة . .

ـ انك تريد أن تنفى عنى كل مسئولية . . على كل حال الوقت الآن غير مناسب لمجادلتك . . فلأعد لك مكانا مريحا لمبيتك . . فأنت الذى أنهكتك ولا شك هذه المفاجأة غير السارة . . . أرى فوق السرير « مرتبتين » فلأفرش واحدة منهما على الارض . . وليكن توزيع المكانين بيننا بالقرعة . . ما رأيك ؟ . . .

قال لها مبتسما :

ـ موافق . انى مطمئن الى سوء حظى

ونهضت من فورها . . ونهض هو . . فتعاونا على نقل احدى حشيتى السرير الى ركن من أركان الحجرة . . . وأخذت هى فى وضع الوسائد وتهيئة ذلك الفراش الارضى ، حتى فرغت منه ، فطلبت اليه عملة من ذات القرش ، واتفقا على أن الذى يخرج له الوجه ذو الصورة يظفر بالسرير . .

ورمت بالقطعة النقدية فى الفضـــاء ، فاذا هى الظافرة . . فقال لها :

ـ ألم أقل لك أنى أعرف بختى ؟!

ـ انى أخطأت الرمى ، فلنعد القرعة من جديد . . .

ـ لا . . لا . . من فضلك . . حافظى على مبـــدئك : الصراحة والصـــدق وعدم الخداع . . .لقد كسبت أنت وخسرت أنا . . فلا محل للمراوغة ولا لزوم «للحمرأة»!

فقبلت على مضض . . .وخرج من الحجرة الى أن خلعت ملابسها واندست فى سريرها ، فعاد وخلع ملابســه وأوى الى فراشه . . .ومدت ذراعها البضة المرمرية الى زر المصباح بقربها وهى تقول مستأذنة :

ـ هل أطفىء النور ؟

ـ اذا شئت . . وأتمنى لك نوما هنيئا . .ومستقبلا سعيدا مع من اختاره قلبك . .وانى واثق من أنك أحسنت الاختيار . . ولو أنك لم تحدثينى عنه . . .

ـ انه ضابط . . ملازم أول . .

ـ وشاب جميل بالطبع ، ويصغرنى بعشر ســنوات على الأقل فلا جدوى فى منافسة . . ولا أمل فى مقاومة . .

لفظها هامسا وهو يخاطب نفسه ، فسألته :

ـ ماذا تقول ؟

ـ لا شيء .. اطفئى النور ... تصبحى على خير ..

▭

مرت الأيام والزوج يمثل الدور المتفق عليه خير تمثيل، ويشعر حماته برفق أنه ليس الزوج المثالى الذى كانت تتمناه لوحيدتها ... غير أن المشكلة التى استعصت عليه هى مسألة الحجرة المشتركة. ان هذه الحال بينه وبين زوجته « المزيفة » لا يمكن أن تدوم على هذا الوضع .. انه لا يستطيع النوم وهى معه فى غرفة واحدة ، هكذا كأنهما غريبان ، وبينهما حيوان شهوان ، بالحرمان يزأر وبالرغبة يجأر ... انه يحس كأن أنفاسها الحارة تلفح وجهه .. كل حركة منها تطرد النعاس من أجفانه ، اذا سعلت نهض يجرد نفسه من غطائه ليدثرها به .. واذا نفذ شعاع القمر من النافذة ، قام على أصابعه يتأمل وجهها البديع السابح فى ضوئه ، ثم يسدل بعد ذلك الأستار ، حتى لا يزعجها النور . واذا تقلبت على أحد جنبيها تقلب هو أيضا . واذا نهضت بالليل لحاجة ، تصنع النوم العميق وكتم أنفاسه

المضطربة ، حتى لا تعلم أنه يقظان . انها فتنة دائمة نائمة فوق سرير .. ولكنها مستيقظة ثائرة ساهرة فى جوفه .. كل شىء منها يقض مضجعه . ويحطم أعصابه وارادته ويجعله يضطرب فى فراشه كأنه ريشة : رائحة جسدها فى أنفه ، وتنهداتها اللطيفة فى النوم ، وشخيرها الخفيف الهامس المتقطع ، وطريقتها العجيبة فى نومها،وهى منبطحة على وجهها ، بشعرها المتدلى ونحرها العارى ووسادتها التى تضغطها وتضمها فى حضنها .. انه لعذاب لا يستطيع أن يتحمله رجل من لحم ودم .. انه تحمل ذلك ليلة وليلتين وثلاثا وأربع .. وكاد ينقضى الاسبوع .. ولكن المضى فى ذلك لفوق الطاقة والاحتمال ... كيف يصنع ؟ والبيت ليس فيه للنوم غير المكتب أو البهو أو قاعة حجرتهما هذه ثم حجرة أخرى تشغلها حماته ، أيبيت فى قاعة الطعام ؟ وما عسى أن يقول الخدم والحماة فى هذا التصرف من عريس؟ وحماته لن تفارقهما أبدا . اذ ليس لها غير ابنتها ملاذ .. لم ير الا أن يصبر صبرا جميلا . وأن يسرع فى انهاء مهمته . وجعل يشتد يوما بعد يوم فى اظهار غلظ طباعه .. وحماته تتغاضى حرصا على هناء ابنتها . وابنتها لم تكن متقنة لتمثيل دورها .. فما كان يبدو عليها غضب من طباع زوجها

« الموهومة » . ذلك انها كانت تعلم انه اذا خلا بها فى الليل جعل يعتذر لها عن اساءات النهار .. وانتهى بها الأمر أن صارت تسر لهذا اللون من التمثيل كأنها طفلة وتكاد تضحك بدل أن تغضب .. وهو يغمزها بعينه ، ويحثها على التظاهر بالتقطيب .. بل كانت تغلط أحيانا وتدافع عنه أمام أمها أو الزائرين اذا وجه الى طبعه نقد .. فتفلت من بين شفتيها كلمة « والله مظلوم ! »

الى أن جاء يوم خطر فيه للزوج خاطر وجد فيه العلاج لسهاد الليل . ذلك أن يلجأ الى منزل صديق قديم عزب ، يرتاح عنده وينام من العصر حتى المساء . وأخبر حماته وزوجته أن أعمالا طرأت ترغمه على هذه الغيبة .. وصار لا يعود الا فى العاشرة . وأحيانا فى منتصف الليل . ولا ضير عليه فى ذلك ، فهذا يمكن أن يدخل ضمن برنامج التمثيل لدوره البغيض

وعاد ذات ليلة فى الثانية صباحا .. فقد دعى الى عيد ميلاد صديق ، وكانت ليلة بريئة فيها طرب وغناء ومزاح . فرأى لدهشته ، زوجته تستقبله فى سريرها مستيقظة مقطبة .. لا تقطيب تمثيل .. بل تقطيب غضب حقيقى . فلما

أبدى لها العذر وبين لها السبب . سكتت غير مقتنعه ولا راضية . .

ومرت أسابيع ، فاذا هى تطلب اليه يوما أن يذهب بها الى السينما . . ورأى حماته تحبذ الفكرة قائلة :

ـ نعم . . اذهب يا ابنى بعروسك وتنزها معا كما يفعل كل « العرسان » !

فرأى من واجبه أن يكون فظا سيء الادب فقال :

ـ ما كان ينقصنى الا هذا : أنا أخرج مع بنتك الى السينما ؟!.

ـ وما المانع ؟ أليست ظريفة جميلة ؟ انها عروس تشرف أحسن عريس !

ـ هذا رأيك أنت وحدك . .

ـ عيب يا ابنى

ـ على كل حال ، ليس عندى وقت أضيعه فى نزهة بنتك

وهنا احمر وجه الزوجة غضبا وقالت :

ـ وعندك وقت تضيعه فى السهر لما بعد منتصف الليل ؟!

ـ هذا شأنى

ـ لن أخرج معك فى حياتى . . أبدا . . أبدا . .

وتركتـــه وانصرفت مسرعة الى حجرتها .. وأطرقت الحماة أسفا وألما .. أما هو فقد خرج الى شأنه ، كما اعتاد أن يصنع فى كل يوم .. ولم يعلق بنفسه شيء مما حدث ، كالممثل بعد تركه خشبة المسرح ، وقد ضرب عليها وطعن وجرح .. وعاد فى المساء فوجد زوجتـــه فى سريرها ، ووجهها فى وسادتها وقد بللتها بدموعها .. ولم تتحرك لدخوله .. وحسبها هو نائمة ، لولا شهيق خافت ، ونشيج غير مرتفع نبهه .. فذهب اليها يقول :

ـ مالك ؟ مالك ؟

فرفعت رأسها من فوق الوسادة ، والتفتت اليه وخيوط العبرات تلمع على خدها .. ولم تجب .. فقال لها بحنان :

ـ لم أرك تبكين هكذا منذ زمن بعيد .. أهو أيضا ؟

ـ من هو ؟

ـ الملازم ..

ـ أى ملازم ؟ آه ..

لفظتها مستدركة ، ثم قالت سريعا بنبرة عتاب مرة :

ـ لا .. لا تحاول التهرب من اساءتك .. بل اساءاتك المتكررة.. انى لا أستطيع أن أحتمل منك أكثر مما تحملت

هذا كثير على .. ما من امرأة تتحمل هذا من رجل !

ـ ماذا فعلت يا ناس ؟..

ـ أتنكر أنك آلمتنى اليوم ؟

ـ تمثيل طبعا ...

ـ هذه حجة بالية .. انك الآن صرت تجعل من هذ التمثيل ستارا تخفى وراءه كرهك لى ..

ـ سبحان الله !

ـ انك الآن أمسيت تتحاشى رؤيتىأطول وقت مستطاع أتنكر ذلك ؟ انك تنصرف مبكرا فى الصباح وأنا نائمة ولا تعود الا فى الغداء .. ثم تخرج فلا أراك الا فى العاشرة أو الحادية عشرة أو منتصف الليل .. انى أسألك وأسأل نفسى : ماذا فى وجهى ينفرك أو فى شخصى يبعدك ؟..

ـ أهذا معقول ؟

ـ أتقسم أنك لا تنفر منى ؟

ـ أقسم أن هذا لم يخطر لى على بال

ـ لقد كنت ظريفا معى فى أول عهدنا .. شديد العطف على .. كثير الحنان ..

ـ وأنا الآن كما كنت .. لم أتغير

ـ نعم .. أحيانا ونحن وحدنا فى هذه الحجرة تتلطف معى ، ولكنك أمام الناس ..

ـ بالطبع .. أمام الناس يجب أن أكون غير لطيف .. طبقا للخطة

ـ أى خطة !.. أتعرف أنها أمست لعبة سمجة ؟!

ـ ولكن !.. هذا لابد منه ..

ـ كان يسرنى تمثيلك أول الأمر . ولكنى الآن أراك جادا فيه ، ويبدو لى كأنه حقيقة

ـ كثرة الممارسة تعلم الاتقان

ـ كنت أفضل أن لا تتقن هذا الدور..حتى لا يخالجنى شك .. كل كلمة منك الآن تطعننى حقيقة ، وتدمينى.. يجب أن تحذر قليلا .. لم يعد الأمر فى نظرى تمثيلا.. لقد اختفت كل لفظة رقيقة .. لماذا لا يمتد اتقان دورك أيضا الى ما يسرنى ؟ كنت تقول لى أمام والدتى «يا سونة» وأحيانا .. « يا سونتى » ماذا حدث ؟ لماذا لا أسمع هذا النداء منك اليوم ؟

ـ حصل تغيير فى الخطة . نظرا لضيق الوقت ..

ـ ضيق الوقت ؟

ـ ألا تعرفين ؟ نحن اليوم فى آخر أسبوعنا السابع .. ولم يبق أمامنا سوى بضعة أيام لنفترق ..

ـ بهذه السرعة ؟ أواثق أنك لم تخطىء ؟

ـ اطمئنى ! انى لا أغلط فى الحساب .. وكل يوم يمر أعده بكل دقة ..

ـ تعد الايام لتعثق رقبتك !

ـ أنا ؟!

ـ لم يبق اذن سوى بضعة أيام لنفترق !.. ما أشد سرورك !.. حدثنى ماذا ستفعل بعد ذلك اليوم ؟ وأين ستسكن ؟..

ـ لا أدرى . لم أضع بعد برنامجا لحياتى المستقبلة

ـ كم أتمنى أن تكون سعيدا فى حياتك المستقبلة . ترى هل ستذكر بالخير أو بالشر أيامى معك ؟

ـ بالخير طبعا

ـ وهل سيكون شخصى عزيزا عليك !..

ـ دائما ..

ـ أشكرك ..

ـ نامى الآن هادئة البال .. لقد تأخـــرت عن موعد نومك ..

وجذب الأغطية ، وغطاها جيدا ، ومست كفه وجهها عفوا ، فمرغت خدها فى يده ، كأنها قطة تتمسح فى صاحبها وأحس دفء ذلك الخد المخملى الأسيل ، فسحب يده برفق .. وأطفأ النور فى سكون ، وذهب الى فراشه صامتا ..

▭

مرت الأيام الباقية مرا سريعا ، فى جو عجيب رهيب . فهى قليلة الكلام نادرة الابتسام ، بادية الكآبة . وكأن على وجهها من الحزن المكتوم سحابة . تجيبه اذا تحدث بنظرة فيها أشياء ، يفهمها ويعلمها ويهتز لها فى أعماقه كأنها قصيدة بليغة . وقد شقت عليه مهمته ، فجعل يتحامل على نفسه ليستطيع أن يمعن فى اساءته لها أمام والدتها ..

وتهيأت أخيرا الظروف التى يستطاع فيها اصدار ذلك القرار الحاسم ، دون أن تتأثر الأم كثيرا أو تخدش سمعة الزوجة

جاءت الليلة الاخيرة . فتعمد الزوج أن يعود فى الهزيع الاخير من الليل ، حتى يكون التعب قد أرغمها على النوم ،

ولكنه وجدها ساهرة مستلقية على ظهرها فوق سريرها ، وضوء المصباح على وجهها الشاحب ، وكأنها تشخص ببصرها الى السقف .. فقال لها :

ـ عجبا !.. ألم تنعسى بعد !

ـ كنت أنتظر عودتك

ـ لو كنت أعلم ذلك لجئتك مبدرا

ـ انك تعلم ذلك

ـ ما هذه اللهجة المكتئبة والوجه الحزين ؟

ـ ليس هناك ما يدعونى الى الفرح والانغباط

ـ على النقيض ... كان يجب الليلة أن تكونى مسرورة مرحة . غدا تكونين حرة ، وتستطيعين الزواج ممن تحبين

ـ انك تعبر عن احساسك أنت

ـ لا شأن لك باحساسى من فضلك ، انى منذ خلوت بك فى هذه الحجرة ، فى ليلتنا الاولى ، وأنا لا أهتم الابشعورك أنت وحدك وموقفك ومشكلتك وقد عاهدتك على ذلك .. وأظن انى قد بررت بالوعد !

ـ نعم . لقد كنت رجلا شريفا

ـ الحمد لله

ووقع بينهما صمت عميق ... واضطربت فى شفتيها كلمات ، لم تجرؤ على اخراجها.. وأخيرا تشجعت وقالت:

ـ اذن أزفت الساعة ..

ـ أعتقد ذلك ..

ـ هل .. هل تحب أن تعرف شعورى الآن .. أو ترى من مصلحتك أن تتجاهله ؟.. ثق أنه يشق على نفسى احراجك .. أظن من الخير لك أن أسحب كلامى ، ولا أسألك شيئا. وليكن ما فى قلبى مكتوما . ولا يجب أن أطمع فى نبلك أكثر من ذلك ..

ـ افصحى وكونى صريحة دائما

ـ اذا طلقتنى فانى أموت

قالتها سريعا ، وأخفت وجهها فى كفيها . ولم يكن فى صدقها خلجة شك . وكان صوتها صوت الصدق نفسه لو أنه أعطى لسانا .. فجلس زوجها على حافة سريرها ، وأمسك بيدها وقال :

ـ اسمعى يا .. سنية ! من الصعب على أن أنسى أنك

أحببت شخصا آخر .. دلك الحب الذى رأيت بعينى آثاره فى وجهك ليلة عرسى !..

ـ أعلم أنك لن تغفر لى ذلك . وأحب أن تعاقبنى العقاب الذى تراه ، ولكنى أرجـوك أن تصدقنى اذا قلت لك أن عواطفى نحو ذلك الشخص كانت عواطف طفلة لم تعرف بعد ما هو الحب !

ـ انى لا أكذبك مطلقا .. غير انى واثق انك تقدرين موقفى ..

ـ نعم ، أقدر موقفك .. وأدرك ما يجول بخاطرك .. وأعرف السؤال الذى يمنعك أدبك من أن تسألنى اياه . ولكن أقسم لك أنه لم تكن بينى وبين ذلك الشخص علاقة تخجل أو صلة تشين .. كل ما فى الأمر أنه كان جارنا يوم كنا نقطن فى حى « العباسية » وكنت ككل فتاة يبهرها ذلك الزى العسـكرى والقوام الممشوق ، وكان يحيينى وأحييه كلما تقابلنا فى الطريق ، وكان يحادثنى فى التليفون .. ولكنى لم أخرج معه قط .. ولم نجتمع على انفراد .. أؤكد لك ذلك وأحلف بكل يمين وسيأتى الوقت الذى تتحقق فيه من صدق قولى ..

ـ انى أرى الصدق فى عينيك . وهذا يكفينى . ولكنى أخاف من أمر آخر .. حقيقة شعورك نحوى .. هل أنت واثقة ؟..

ـ كل الثقة

ـ كيف تقطعين بذلك ؟

ـ انك ترتاب ، لأنك لا تعرف الحب . ولكنى أخبرك ما هو..انه ليس فى تلك البهرة العاجلة التى تخطف أبصارنا، ولا الهزة المفاجئة التى ترج قلوبنا .. ولكنه شىء يتكون على مهل كالجنين.أنه ينسج فتلة فتلة ، ويربط عقدة عقدة، كشغل « التريكو » .. هكذا يتوثق الرباط بين قلبين .. مهما تشك فى قولى .. فانى لن أستطيع التخلى أبدا عنك .. انك ضرورى لى ... بكل حسناتك وسيئاتك ... انك لازم لى ، بمجرد وجودك فى هذه الحجرة .. أسمع سعالك ، ويؤرقنى غيابك .. وتسرنى عودتك ، ولو بعد منتصف الليل ، ويضحكنى بحثك فى الصباح عن جواربك تحت السجاجيد وعن حذائك تحت الأمتعة ، ووجهك الملطخ بالصابون وأنت تحلق..وجرحك لوجهك بالموسى، ونسيانك منديلك قبل خروجك.. واعتمادك على لأذكرك بمحفظتك الملقاة على منضدتى .. وابتسامتك الساذجة

اللذيذة ، وأنا أتمطى فى الصباح وأتثاءب ، وغضبك المفتعل وصياحك التمثيلى .. أمام والدتى ، وكلامك لى عن عملك كأنى أفهم دقائقه . ثم تذكرك فجأة أنى لست حقيقة لك فتبدى معى التكلف .. ثم تنسى فتتبسط وتدللنى وتلاطفنى .. وتطرى ثوبى الجديد ، ثم عاداتك فى الطعام عرفتها وتعلمتها .. فالخبز يجب أن يسخن ويحمر ، والأرز يؤكل مع الخضر .. حتى نومك .. عرفت فى أى ساعة من الليل تكون على جنبك الأيسر .. كيف تريد أن أتخلى عن كل هذا ؟.. تلك تفاهات صغيرة ، ولكنها هى الحلقات الدقيقة الوثيقة فى « تريكو » الحب الزوجى ..

ـ « تريكو » !.. يا له من تعبير ! لا تنسى الابرة الطو من فضلك ! انها خطرة ، وهى فى يدك أنت !

فضحكت ضحكة رقيقة .. ثم قالت بنبرة جد :

ـ لا تخش شيئا منى أبدا ...

فأطرق مليا .. ثم رفع رأسه وقال :

ـ سونه .. دعى لى وقتا للتفكير !

ـ لم أسمع منك لفظ « سونه » منذ دهور !.. لم كل هذا الخوف منى ؟..

ـ ليس منك .. ولكن على كنوزى. كنوز البخيل التى ادخرها فى قلبه . نامى يا سونه الآن.. وفى الصباح نفكر وقد يأتى الفرج ..

وغطاها كما اعتاد أن يفعـــل ، وأطفأ النور وذهب الى فراشه الارضى فى ركن الحجرة ..

ولم يكد يأوى اليه ، ويسحب غطاءه عليه ، حتى سمع ســـوت سونه تثب من سريرها .. واذا هى قد دلفت الى فراشـــه ، واندست تحت الغطاء الى جواره والتصقت به والتحمت بجسده وهى تقول :

ـ أنت زوجى أمام الله والناس وقلبى ، ولن تفلت من بين ذراعى .. أبدا ..

وطوقته وضمته.. واذا هو يجد نفسه فى مكان الوسادة التى اعتادت أن تحتضنها ليلا ..

وكانت تلك هى ليـــلة عرسهما ، ولعلها أول مرة فى تاريخ الزواج يهجـر فيها العـــروسان سرير الزفاف ، ليفترشا الارض متعانقين ...

طريد الفردوس

ـ سنذهب الى الفردوس ...

ـ بعد عمر طويل .. ان شاء الله !

ـ الآن ...

قالها صاحبى المرح ، وهو يدخل بى ذلك المساء حانة من حانات القاهرة ، كتب على بابها بلون أخضر «بار الفردوس»

وأجلسنى من الفور وجلس الى مائدة ، يبدو أنها محجوزة له ، موقوفة عليه... وأدار بصره فى المكان وحيا بنظرة صاحب البار واخوانه ، وبابتسامة حور الحان وولدانه .. وصفق طالبا الشراب وهو يتلو :

ـ قال الله تعالى : وما الحياة الدنيا الا متاع ...

ـ أكمل الآية من فضلك ...

ـ لم يتسع فؤادى لأكثر من هذه الجملة ...

وأقبل الساقى بالاقداح ، وأراد صاحبى أن يقدم الى قدحا ، فقلت له :

– ذنوبى قد فاضت بها كأسى فلا حاجة بى أن أزيدعليها قدح خمر .. اذا أردت أن تكرمنى فاطلب لى عشاء ! ..

فأذعن لرغبتى ... وطلب لى الطعام ، فطفقت ألتهم ، وجعل هو يرشف من كأسه .. ويقول :

– يعجبنى أن يعرف الانسان أن له ذنوبا ... اذا عرفنا ذنوبنا عرفنا حدودنا ... واذا عرفنا حدودنا لزمناها وأبينا أن نتعداها .. وهأنتذا قد رفضت أن تتعدى حدودك !.. سأقص عليك قصة ثق أنها ليست من وحى شرابى ، لقد وقعت بالفعل وفى هذا المكان بالذات ... واذا لم تصدقنى فسل كل هؤلاء الحاضرين .. ولكنك تعرف انى لم أكذب عليك يوما ..

فلم يستطع فمى المملوء بالطعام أن يجيب ... فاكتفيت بهز رأسى علامة المصادقة .. فمضى الصديق يروى قصته:

– لست أذكر هل سبق لى أن حدثتك عن ذلك الشيخ الصالح الذى يتبرك به أهل بلدنا فى الريف ، الشيخ عليش .. رجل ولد بعينين فى رأسه ، ولكنه لم ير بهما غير السماء .. ويبدو لنا أنه منذ نزل من بطن أمه،وضعوه فى اناء من زجاج وختموا عليه ، حتى لا ينفذ اليه هواء

البشر ، ولا تنسل اليه جرثومة من جرائيم الشر . . . رجل لا يعرف ما هو الذنب ، ولا السيئة ولا الزلة ولا المعصية . . ما كنا نبصره الا ساجدا أو هائما فى ملكوت الله ، لا يفطن الى نفسه ولا الى من حوله . . . ولا يفرق بين الناس والهوام . . . لم يؤذ انسانا ولا بعوضة ، ولا يملك من دنيـــاه غير مسبحة من حصى ، وغير موسى يحلق بها شعر رأسه ، وغير عمامته العتيقة ، وأطماره المهملة ، ولحيته المرسلة . . . هكذا عاش ، يأكل من عشب الارض أحيانا كأنه دابة ، ويقضم ما يلقى فى حجره أحيانا من كسرات المحسنين على غفلة منه أو سهوة ، فهو لا يسأل أحدا شيئا . . . ولا يطلب الى الدنيا متاعا . . . الى أن مات الشيخ ذات يوم ولم يبلغ الاربعين . . وكنت بالمصادفة فى الريف ، وأبصرته بعينى مع غيرى من الناس ، وهو ملقى فى مكانه ، مسجى عـلى الغبراء ، وقد طرحت عنه عمامته فبدا رأسه الحليق ، كالصخرة اللامعة الملساء ، وسقطت الى جانبه المسبحة ، وظهرت من حزامه يد الموسى . . . وسكنت حركة لحيته التى ما كانت تهتز الا لذكر الله . . . وهبطت على الناس رحمة به ، فأجمعوا على أن يبنوا عليـــه ضريحا . . . وما تركت الريف حتى كان الضريح قائما على جثمان الشيخ عليش ، وقد ســـاهمت

بنصيبي فى اقامته ، وقلبى جياش بالتأثر ، ونفسى فياضة بالخشوع ... وعدت الى القاهرة ، وعاد الى ضعفى ، قاتله الله ... وجذبتنى قدماى الى مكانى المألوف من هذه الحانة .. فما نحن الا بشر ، لم يكتب لنا السمو على أنفسنا غير لحظات .. ومرت أيام ... واذا بى أسمع جلبة من مكانى هذا ، فاستدرت فأبصرت على هذه المائدة من خلفى شيخا رث الهيئة ، قد أحاط به خدم المحل ، يحاورونه ويحرجونه ويفهمونه أن الموضع ليس موضعه ، وأن من الخير له أن ينصرف بالحسنى ، فتتبعت المحاورة ، ثم سددت الى الشيخ البصر .. ويا لهول ما رأيت !.. كلا .. انه ليس الوهم ولا السكر ولا الجنون .. بل هو الشيخ عليش بشخصه ولحمه ودمه وعمامته وأسماله ومسبحته وموساه ... وفركت عينى وطلبت فنجانا من قهوة ثقيلة أستعين بها على اليقظة .. ثم سألت صاحب الحانة أن يمتحن عقلى . وطلبت الى غانية من حسان المكان أن تفحص صحوى ، فنظرا الى بريبة أول الأمر ، ولكنهما خضعا لاصرارى ، ولم أتركهما حتى أقرا واعترفا انى ثائب الى رشدى ، مالك لصوابى .. فتقدمت الى الشيخ ، ونحيت عنه الخدم ، وقلت له بصوت متهدج :

ـ ما اسمك أيها الشيخ ؟ ..

فما راعنى الا قوله ، بجد وصراحة وثبات :

ـ عليش !

وكان الصوت صوته ، والنبرة نبرته ، فكدت أجن ، ومضيت أستفسر منه :

ـ الشيخ عليش من بلدة ..

فذكر لى اسم البلدة والقرية من ذلك الريف بما لم يدع فى نفسى ذرة من شك ..

ـ ساكن الضريح الذى ساهمت فى ..

ـ نعم ..

ـ وكيف تركت ضريحك وجئت ها هنا ؟.. لقد أبصرتك بعينى رأسى وأنت ميت ..

ـ نعم .. لقد مت حقا .. وأردت أن أدخل الفردوس ولكنهم طردونى !.

ـ الفردوس ؟!.. أيمكن أن يغلط الانسان الى هذا الحد ؟ ألا تستطيع أيها الشيخ الورع أن تفرق بين الفردوس الذى فى السماء ، و « بار » الفردوس الذى فى شارع عماد الدين ؟!

– لا .. لم يحصل منى غلط ! لقد صـــعدت فعلا الى السماء ، وطرقت باب الجنة ، فمنعنى حارسها من الدخول ، وأعلن الى أنى لست من أهلها ، ونصح لى أن أطرق باب النار ، فصدعت بالأمر دهشا حزينا وطرقت باب النـــار ، فمنعنى حارسها أيضا من الدخول ، وأعلن الى انى لست كذلك من أهلها .. فحرت فى أمرى ، وصحت شـــاكيا سائلا الهداية ، طالبا البت فى مصيرى ، وأخيرا قالوا لى : ليس فى السماء موضع أوضع فيه .. لان الدنيا معركة بين الخير والشر ، ومبارزة بين الفضيلة والرذيلة تقوم فى نفس الانسان ، فاذا انتصر الخير دخل الانسان مملكة الخير وهى الفردوس ، واذا انتصر الشر دخل مملكة الشر وهى الجحيم .. أما أنا فلم تقم فى نفسى معركة ، ولم يحدث انتصار ، ولم أواجه الشر لأغالبـــه .. فأنا فى نظرهم كالفار من الميدان ، أو الهارب من الامتحـــان ، فكيف يجوز لهم أن يثيبونى أو يعاقبونى ، وأنا لم أعرض نفسى لاحداث الحياة ، حتى يظهر معدنها الخير من معـــدنها الشرير ؟.. انى فى نظرهم غشاش مخادع ، لجأ الى أيسر السبل لينال الجائزة دون أن يواجه الخطر !. وانتهى أمرهم الى اعلان هـــذا القرار فى أمرى : وهو الغاء حياتى الاولى واعتبارها كأن لم

تكن ، وطـــردى من السماء ، لأعيش مرة أخـرى على الارض ، بنفس جسمى وروحى وكيانى الاول ، على أن أتقدم للامتحان العسير وأواجه الشر وأنازل الرذيلة ليعرفوا بعد ذلك من أمرى ما ظهر وما اســـتتر .. وألقوا بى الى الدنيا من جديد بعين ثيابى وهيئتى ، فوقعت على القاهرة ، وأنا لم أزل فريسة حزنى ويأسى من ضياع جنتى ، أردد كالمجنون عن غير وعى : « الفردوس ... الفردوس !. » فدفعنى أحـد المارة الى هـــذا المكان قائلا لى : « ها هو ذا الفردوس ! . » فدخلت،واذا بى أجد فيه أيضا من يطردنى منه .. حتى أنقذتنى أنت أيها الرجل الطيب ..

عجبت لقصة الشيخ ، وأخذتنى به شفقة .. وقلت له :

ـ لا عليك أيها الشيخ المبروك . ما حدث لك لا يحدث لأى انسان . انما هى كرامة من كرامات أولياء الله .. أن يسمح لبشر أن يعيش مرتين فى هذه الدنيا ...

ثم أنهضته برفق وأجلسته باحترام الى مائدتى،وقلت له:

ـ والآن ، ماذا تنوى أن تصنع فى حياتك الجديدة ؟..

ـ أواجه الشر .. اذا أردت أن تخدمنى أيها الرجـل الطيب فدلنى أين أجد الشر ..

فضحكت قليلا ، وقلت :

ـ هذا شيء بسيط .. وان كنت شخصيا لست بالدليل البارع فى هذا السبيل .. ولكنى أستطيع على كل حال أن أعرفك بالشر فى أهون مظاهره ...

وصفقت للساقى فحضر .. فقلت له :

ـ زجاجة شمبانيا لفضيلة الشيخ !..

فحملق « الجرسون » فى وجهى ثم تنبه وأسرع يلبى الأمر ولم يلبث أن عادبالزجاجة غارقة فى اناء الثلج،وفض خاتمها الفضى ، فانطلقت السدادة كأنها مدفع .. نبه الينا حسان الحانة . فصوبن الينا نظرات دهشة مذهولة ، أتبعنها ببسمات ثم ضحكات خافتة مكتومة لهذا المنظر الفريد فى الدهر ..

ـ فى صحتك !...

ورفعت كأسى وأشرت اليه أن يرفع كأسه .. فرفعها بيد مرتجفة ورشف منها بحذر كأنما يرشف سما .. ولم يدر بخلدى قط أنى جرعته حقا سما سيسرى فى حياته الجديدة ، ويفعل بها الأفاعيل .. ولم أفطن للأمر الا بعد أن جرع الشيخ كأسه الثالثة .. وثمل وانقلب يغنى

بالتواشيح الدينية والمدائح النبوية ، ثم يسبح بأسماء الله على مسبحته بصوت السكارى .. وهذا كل ما يعرف طبعا من غناء دفعته اليه النشوة .. فبذلت جهدا فى اسكاته ، خشية الفضيحة .. وصيانة لمقام الدين ونحن فى هذا المجال .. فاقتنع الشيخ ، وترك الغناء بهذه الاشياء المقدسة .. وتلفت ذات اليمين وذات اليسار فلمح غانية ظريفة فتنحنح وقال :

ـ أعطنى هذه الحورية !..

فأومأت اليها ، فأقبلت وجلست وأوصيتها بمداعبة الشيخ ، فداعبته ولاعبته حتى ذهبت ببقية لبـه .. وخطر له وهو فى أوج انشراحه وترنحه أن يسألنى عن اسمى ، فراوغته ، فقال :

ـ ولماذا أسألك ؟ أوتظننى أجهلك ؟

ـ أتعرفنى ؟

ـ طبعا .. أنت رضوان .. الذى أدخلنى هذا الفردوس بحوره العين ..!

وقهقه ضاحكا ، ومال على الغانية يضمها .. وانتصف الليل ثم دقت الساعة الواحـدة ، وأقفرت الحانة ، وأراد صاحبها أن يغلقها . وهنا راحت السكرة وجاءت الفكرة ..

ماذا أنا صانع بهذا الشيخ صاحب الكرامات ؟... وأين يكون مقره ومقامه ؟... ليس من المعقول أن أسحبه معى أو أذهب به الى منزلى .. وليس من المعقول أيضا أن أرده الى ريفه وأعيده الى ضريحه !.. ما الحل ؟ أين يبيت ليله؟..

وتأملت الأمر مليا .. ثم قلت فى نفسى : « ولماذا أتعب نفسى به ؟ ما شأنى بهذا الشيخ ولى الله ؟. هل عيننى أحد ولى أمره ؟.. وهل قذفوا به من السماء لأحمله أنا على ظهرى ؟.. »

وهدانى الله الى وسيلة .. أن أنقد الغانية مبلغا لتخرجنى من المأزق ، وتبقيه معها ريثما أنصرف بسلام .. ولها بعد ذلك أن تؤويه أو تلقيه ..

وتم لى ما دبرت ، وأنقذتنى الغانية الكريمة ، وانصرفت الى بيتى ، وانقطعت عن هذه الحانة أسبوعا ، خشية أن أصادف الشيخ ، فيتعلق بى ويرغمنى على مصاحبته ومسامرته وتحمل تبعته وشأنه وهمه ومستقبله ..

ومضى الاسبوع فلم أجازف بالذهاب .. وآثرت الاتصال بصاحب الحانة بالتليفون .. فما كاد يسمع صوتى حتى صاح بى قائلا :

ـ ما هذه المصيبة التى نزلت علينا ؟!

ـ أى مصيبة ؟

ـ صاحبك الشيخ... انه لا يريد أن يترك المحل لا ليلا ولا نهارا .. وكلما ناقشناه صاح فينا : لن أذهب أبدا .. المؤمن لا يطرد من الفردوس مرتين !..

ـ وماذا صنعتم به ؟

ـ لا شيء .. صنعنا له صندوقا لمسح الاحذية ، وحلقنا له ذقنه ، وألبسناه جلبابا ... وألحقناه بخدمة المحل،ينظفه بالنهار ، ويلمع أحذية الزبائن بالليل !..

ـ فكرة نيرة جدا ..

قلتها بكل اخلاص ، وكل اعجاب .. ولكن هـــذا لم يمنعنى من تعمد الانقطاع عن الحانة زمنا آخر ، حتى يلتصق الشيخ عليش بصفته الجديدة تمام الالتصاق ، وينسى الليلة المعهودة تمام النسيان ، فلا يلحقنى من لقياه متاعب ...

▭

ومرت أعوام ثلاثة .. دون أن أضـــع قدمى فى تلك الحانة .. لا تعمدا بل طاعة لأمر القـــدر .. أو قل أمر

الحكومة ، فقد دس لى الحاسدون النمامون لدى رئيسى الجديد « الغشيم » اللئيم ، واتهمونى ظلما بأنى قليل العمل كثير الكسل ، مدمن على السكر والعربدة وارتياد الحانات .. فما راعنى ذات صباح الا أمر من الوزارة بنقلى الى أقاصى الصعيد .. فمكثت هناك الى أن أذن الله والمساعى المثمرة بعودتى

فما أن استقر بى الحال فى عملى الجديد بالمصلحة ، حتى شعرت بالحنين الى حياتى الماضية .. ونشطت ذات مساء أقصد هذه الحانة ، وكنت قد نسيت الشيخ عليش وما جرى له بالتمام .. فدخلت وأجلت النظر فى المكان ، فلم أجد شيئا على حاله القديم .. كل شىء قد تغير : مائدتى المختارة ، والغانيات والساقون و « البارمان » ، وحتى مدير المحل .. لم يبق شىء كما كان سوى اسم الحانة ، فهو هو دائما لم يتغير : « بار الفردوس » !..

وقفت لحظة حائرا لا أدرى أين أجلس .. حتى لمحت غانية من بنات الهوى ، قد اعتلت البار .. وهى بمفردها تدخن ، والدخان مغيم حول وجهها الابيض المستدير كأنه السحاب حول قمر .. فاتجهت اليها ، ووقفت بجوارها

وطلبت لها كأسا ولى أخرى ، وأخـــذت أغازلها بكلمات محفوظة مما يناسب المقام .. الى أن قطع الحديث ماســـح أحذية ، يهمس قربى : « تمسح يا بك ! » ... فارتجفت ونظرت اليه ، وتذكرت فجأة الشيخ عليش .. وقلت فى نفسى : ماذا أنا فاعل لو ظهر الشـيخ بصندوقه ، وماذا أنا قائل لو جذب حذائى ليمسحه ؟ أأدفعه اليه ، أم آباه عليه .. ترفقا به واحتراما له ؟!

ورفعت الغـانية قدحها الى شفتيها ، وهى تنظر الى باب الحانة قائلة لى بقلق :

– لن أقف طويلا معك...انى أخاف أن يحضر فيرانى .. انه شديد الغيرة !..

– عمن تتكلمين ؟

– علوى .. علوى بك !..

– علوى بك !.. من هذا ؟..

فظهر على وجهها الاستغراب ، والتفتت تحدق فى وجهى وهى تقول :

– عجبا !.. ألم تسمع بهـذا الاسم ؟ كل شـارع عماد

الدين يعرف من هو علوى !.. يظهر انها أول مرة تدخل فيها البارات والكباريهات ..

ـ حقا .. منذ أكثر من ثلاثة أعوام !..

ـ لقد اقترب موعد مجيئه .. أنصحك أن تبتعد عنى بمجرد اشارتى لك بالابتعاد .. والا فأنا لست مسئولة عن منخارك أو أذنيك اذا أطاح بها حد الموسى !..

ـ يا مغيث !..

قلتها هامسا مرتعدا .. وأنا أنظر الى الباب .. ثم خطر لى أن أبتعد بكأسى عن المرأة منذ الساعة ، دون انتظار للمقدر والله يغنينا عن قربها المحفوف بالمخاطر .. ولكنى خشيت أن أبدو على هذا الجبن أمام امرأة ، لعلها ما قصدت الا العبث بى والمزاح معى ... وتجلدت قليلا ، واستأنفت الحديث والمغازلة..واذا هى فجأة تلتفت الى الباب ، كالقطة التى أحست بغريزتها حركة.. ثم أدارت لى ظهرها،ونأت عنى بقدحها .. فأدركت أن صاحبها قد حضر .. ولقد شعرت بالفعل كأن الحانة كلها قد مستها شرارة كهرباء .. فقد ساد بغتة صمت لدخول ذلك الرجل ، شمل الحاضرين من زبائن وساقين الى مدير المحل الجالس فوق المنصة .. فرفعت عينى بحذر وأدب أفحص ذلك الذى يسمونه

« علوى » .. فرأيت رجلا أنيق الملبس ، خفيف الشارب، لامع الشعر يتضوع منه عطر الكلونيا الثمين .. وخاطب الرجل بلهجة الأمر « البارمان » فخيل الى أنى أعرف هذا الصوت ، واحتلت لأنظر الى وجهه مليا .. فاذا الدهش يعقد لسانى : لم يكن علوى بك هذا غير الشيخ عليش فى قالب جديد !..

ولم أدر ماذا أصنع عندئذ .. هل أحادثه ؟ هل أنسحب من المكان دون أن أشعره بوجودى ؟.. وتساءلت : أترضيه مقابلتى اليوم أم تزعجه ؟.. ليس لى أن أبدأ على أى حال بشىء ... ولكن الظروف سرعان ما تدخلت .. فقد أراد هو أن يخرج من جيبه الخلفى علبة السجاير . فصدمتنى يده على غير انتباه منه . فالتفت نحوى .. وتقابلت عينانا فحملق فى وجهى لحظة ،كمن يراجع ذاكرته..ثم ما لبث أن انفرجت شفتاه عن صيحة أذهلت الحاضرين :

ـ رضوان !..

ثم فتح ذراعيه ، وعانقنى عناقا طويلا .. فرحا كالطفل، مبتهجا كمن لقى لقية .. وهو يردد : « رضوان..صديقى رضوان ! » .. وقبل أن أفتح فمى بحرف ، جذبنى من

يدى وقادنى الى مائدة فى طرف الحانة كأنما يريد أن ينفرد ويستأثر بفرحة العثور على...وصفق ينادى «الجرسون» :

ـ زجاجة شمبانيا !..

ـ هكذا سريعا ؟!

ـ دعنى أرد اليك بعض دينك ! أين كنت طول هـذا الزمن ؟.. لقد بحثت عنك فى كل مكان..ولكنك اختفيت فجأة . هأنذا أعثر عليك الآن فاتركنى أرد اليك الحسنة بعشرة أمثالها !..

ـ لست أدرى هل تعتبر فعلتى حسنة ؟!..

قلتها كالمخاطب لنفسى ، وأنا أجيل بصرى المشدوه فى كل جزء من أجزاء هذا الكائن الذى كان يسمى فيما مضى « الشيخ عليش ».. كلا ، ان التغير الذى طرأ عليه لا يمكن أن يسمى تغيرا ولا تطورا ولا انقلابا .. انه شىء لم يوجد له بعد اسم..الوجه وجهه والصوت صوته ، ولكن اللهجة التى بها يتحدث ، والطريقة التى بها يشرب ، والاسلوب الذى به يسمر ، والعقل الذى به يفكر ، والنفس التى بها يشعر .. كل هذه أشياء أراها لأول مرة .. على أن عينى الفاحصة دلتنى على شىء عنده سبق أن رأيته .. طرف الموسى

البارز هذه المرة من جيب الصدر ، خلف منديله الحريرى المتهدل .. ولم يدعنى أستغرق فى دهشتى وتأملى .. فقد رفع كأسه قائلا :

ـ فى صحة رضوان !..

فرفعت قدحى :

ـ فى صحة علوى !

وشرب كأسه كلها فى جرعة واحدة .. ثم التفت الى قائلا :

ـ أرى أن عطشك الحقيقى هو الى معرفة شىء عن صديقك الجديد « علوى » !.

ـ طبعا !..

فأشار الى ماسح الاحذية الذى يجوس بصندوقه خلال المكان وقال :

ـ لقد بدأ هكذا ...

ثم أخذ صوته يخفت كلما أوغل فى الحديث، كأنما يدلى باعتراف أو يسعى الى مخاطبة النفس ... ثلاثة أشهر أو أربعة حمل فيها صندوق الاحذية وتعلم خلالها النشل والمقامرة والمغامرة وخدمة الغوانى .. الى أن تجمع فى يده

مبلغ من المال .. فطرح صندوقه وجلبابه ، واشترى بذلة نظيفة وصار أفنديا .. ولكن صلته بالغانيات وحاجتهن الى الحماية جعلتا منه فى نظرهن رجلا لا غنى لهن عنه .. ولقد تبين له بعد قليل أن هذا عمل مريح .. فقد كثر عدد المحتاجات الى يده وحمايته .. وشاع عنه ذلك فى هذه البيئات ، وشاهد الناس من خوارق براعته فى استخدام الموسى ما جعلهم يحسبون لغضبه حسابا .. وامتد نفوذه الى أكثر البارات والحانات ، بمن فيها من نساء وزبائن وساقين .. فهو الآن يرتاد أغلب أماكن اللهو ، ويطلب ما يريد ، دون أن يجرؤ أحد على الاعتراض أو المطالبة .. بل هو الذى يتقاضى من أصحابها الأتاوات والمرتبات لضمان الهدوء فى هذه المحال .. وهو أحيانا يشتط فى الطلب ، ويركن الى التهديد واحداث الشغب فيذعن من يذعن ، ويلجأ البعض الى بيع حاناتهم هربا منه وضيقا .. كما حدث للمالك السابق لبار « الفردوس » .. هذا هو علوى . وهذه حياته ... رواها بلهجة سريعة مقتضبة ..

ثم التفت الى قائلا :

ـ والآن ما رأيك ؟ ..

فألجمتنى الحيرة ... ماذا أقول ؟.. وكيف أمسه بنقد وهو شارب ، والموسى فى جيبه ... ولكنى أجبته برفق :

ـ لقدكنت هبطت الارض لتواجه الشر فيما أذكروتنازل الرذيلة ..

ـ ماذا تقول ؟..

ـ ألا تذكر أنهم أنزلوك الى الارض من جديد لتنازل الشر ؟..

ـ من الغريب اننى نسيت ذلك . لقد استغرقتنى حياتى وجرفتنى ، فلم أفطن الى ما جئت له ...

ـ ألم تصادف الشر ؟.. ألم تر الرذيلة ؟..

ـ أين ؟..

قالها كالتائه أو المحدق فى الظلام .. فألقيت نظرة الى الزجاجات الثلاث التى أفرغها فى جوفه ، منذ جلوسنا .. ثم تأملت حاله ، فلم أجد للشراب أثرا فى صوابه .. هو اذن صادق فى احساسه .. لقد جرفه التيار الى حد ألهاه حتى عن سؤال نفسه : « فىأى طريق يسير ؟.. »..يا لها من هزيمة ! انه لم يثبت للنزال ، لقد تلاشى الشيخ عليش، وتلاشت عمامته ومسبحته بلمسة خفيفة من ظل الرذيلة

لقد رفع فى الميدان الراية البيضاء دون وعى منه ، قبل أن يفطن حتى الى وجود عدو ومعركة !..

وأطرق الرجل طويلا .. ثم قال بذلك الصوت الخافت الصاعد من أعماق نفسه :

ـ فى يدى المال والسطوة والمتعة .. ولكنى .. مخلوق شقى !..

ـ أبدأ ضميرك يعذبك ؟

ـ ضـــميرى ؟!.. أعرف الآن ما هو .. أتستطيع أن تجيد الاصغاء الى .. لأخبرك ؟..

ـ نعم .. أخبرنى بكل شىء . انى أحس كأنى مسئول

فقاطعنى بتصفيقة قوية ينادى بها الساقى وهو يصيح :

ـ زجاجة أخرى !..

ولكن مدير المحل أومأ الى « الجرســـون » أن يتغاضى ويتصامم ، وصفق علوى مرة ثانية وثالثة .. فلم يجد ملبيا لندائه ، فأطلق صيحة مدوية ضج بها المكان ، فحضر اليه مدير المحل يقول :

ـ علوى بك !.. ألا تكفى ثلاث زجاجات من الشمبانيا الفاخرة ؟. هذا كثير !..

ـ الكثير أذناك اللتان لا تسمعان طلبى .. سأريك أن واحدة منهما تكفيك لسماعى !..

وفى مثل لمح البصر ، استل موساه من جيب صدره . وقذف مدير المحل .. وكنت لحسن الطالع قد فطنت لقصد صاحبى ، فدفعت بكل قواى مدير المحل بعيدا عن مرمى النصل ، فنجا واستقرت الموسى فى خشبة المنصة !.وهاجت الحانة وماجت ولكن ما من أحد تحرك من مكانه ، فقد كانت لعلوى هيبة .. فتسمر الحاضرون فى مكانهم رهبة أو وهما .. وقام هو يمشى على مهل بجلال الى المنصة ، فنزع عنها نصله البراق وطواه ودسه خلف منديله،وأراد أن يعود الى مجلسه من الخوان ، ولكنى أمسكت بذراعه وسألته بلطف أن يخرج معى من الحانة،لنستأنف حديثنا فى هواء الطريق الطلق .. فأذعن مرغما لرجائى وخرج معى..وهويهمس بغضب مكتوم :

ـ لا يستطيع أحد أن يخرجنى قهرا من هذا ... « الفردوس » !

ـ قهرا لا .. لقد خرجت بارادتك !..

قلتها له بلهجة التزلف والمداراة خشية من بوادره ،

وتهدئة لثائره ، ثم سألته ونحن فى الشارع ســـائران أن يمضى فى حديثه ، وأن يخبرنى بما كان يزمع اخبارى به .. فنظر فى ساعة ذهبية بمعصمه وقال :

ـ لا أستطيع الآن ... غدا اذا شئت... وموعدنا فى عين هذا المكان .

ـ عين هذا البار ؟! أو هذا ممكن بعد الذى حصل ؟..

ـ ماذا ؟.. هذا يحصل كل يوم !..

▭

لم أتمكن من مقابلته فى الموعد المحدد .. فقد دعيت الى عرس أحد أقربائى فى الريف .. فسافرت ولبثت هنـاك بضعة أيام ، رأيت فيها العجب : ضريح الشيخ عليش أصبح كعبة يحج اليها مئات الناس من القرى المجاورة ، يحملون اليه الشموع أيام الاســواق ويوفون بالنذور .. وينوهون بكراماته العديدة فى ابراء الامراض وقضاء الحاجات ...

ولقد أبصرت امرأة ترفع طفلها العليـــل بيديها ليلمس شباك الضريح ، ويتلقى من مس حـــديده البركة ، وهى تصيح من أعماق قلبها :

ـ يا شيخ عليش !. يا ولى الله يا ساكن الفردوس !.

نظرة .. مدد .. نظرة .. مدد !..

ولقد سمعت رجلا يهز باب الضريح صائحا :

ـ يا شيخ عليش !. يا حليق الراس ... خد بيدى ، واشف وجع راسى !

أبصرت ذلك وسمعته كثيرا من أفواه كثيرة .. وقلت فى نفسى : منذا يستطيع أن يقول فى هذه الجموع المؤمنة الآملة ان الشيخ عليش لا يوجد الا فى بار « الفردوس » بشارع عماد الدين ، وأن من يدعونه ولى الله حليق الرأس ليس سوى « بلطجى » يحلق الآن الأنوف والآذان بموساه من رؤوس الناس !!..

لو قلت لهم هذا القول لرجمونى بالحجارة ، وصاحوا بى : اقتلوا الكافر !.. اهلكوا الكافر !..

على أن العجيب فى الأمر أن كثيرا من هؤلاء المرضى الذين يزورون الضريح يشفون حقا .. ولقد أكد لى ذلك بعض من يوثق بقولهم من جلة أقربائى فى الريف ..

ولقد فكرت فى ذلك قليلا ، فزال عنى العجب : يا لهؤلاء الناس !.. انهم هم الذين يشفون أنفسهم بأنفسهم وهم لا يعلمون . ان الناس لا تريد أبدا أن تصدق القوة الخفية

الكامنـــة فى أعماقهم . ولابد أن يخترع لهم وهمهم قوة خارجية ينسبون اليها ما يأتون هم من معجزات !..

وتخيلت حال الشيخ عليش ـ أو علوى بك ـ لو أخبرته بأمر هذا الكرامات التى تفيض على الجموع من نوافذ ضريحه .. بينما هو غارق فى خمور البارات والحانات .. ولكنى رأيت أن أمسك عن اخباره وأن ألزم الصـمت المطبق ، رحمة بجيوب العبـــاد .. فانه لو علم ، لحضر الى الريف واستغل هذا المنجم الذى لا ينضب ... وحسبى ما اقترفته من اثم ما زال يوقر ضـميرى ، اذ دفعته الى طريق الموبقة أول ليلة .. فلا ينبغى أن أدفعه الى طريق اثم جديد .. فليبق اسمه منبع رحمة للناس وليذهب جسمه الى الجحيم

عدت الى القـــاهرة .. وذهبت فى المســـاء الى حانة « الفردوس » فتلقانى مدير المحل بالترحيب ، وشـــكر لى موقفى وتدخلى فى تلك الليلة التى هاج فيها علوى وقذفه بالموسى .. وقال لى انه كان ينوى أن يخبر البوليس ، وأن يجازف ويتعرض لانتقام علوى .. فهو يعلم أنه لن يتركه فى هدوء اذا هو بلغ عنه .. فهو له أعوان .. وانه سيتعقبه بالويل ولو بعد أعوام من سجنه ... لو سجن ... ولكنه

آثر ضبط النفس ، والتغاضى عن الحادث .. لانه يعرف علوى منذ زمن ، ويعلم انه سريع الغضب سريع الصفاء .. والخير فى استئناف الصلات الودية مع مثله ... غير انه يلاحظ عليه فى الاسابيع الاخيرة تغيرا غريبا . وليس هو وحده الذى رأى ذلك منه .. غانيات الحانة على الخصوص وهن أدق احساسا بما يشغل نفسه فى هذه الايام .. ولقد سألته : أحادث علوى بعد تلك الليلة ؟.. فأخبرنى وهو دهش أن علوى لم يحضر الى الحانة منذ خروجه معى تلك الليلة

وعبثا حاولت بعد ذلك العثور على علوى .. بحثت عنه فى جميع البارات والكباريهات ...

وأخيرا قال لى أحد خدم « البار » انه لمح ذات مرة شخصا يشبهه جالسا أمام مقهى وصفه لى فى حى السيدة زينب

فذهبت الى ذلك المقهى .. فاذا بى أجد علوى قاعدا بمفرده ، يتأمل شيئا لا أتبينه .. فدنوت منه ، ولكنه لم يفطن الى حتى وضعت يدى على كتفه .. فأفاق فى شبه رعدة ونظر الى وقال :

- أنت ؟ ماذا أتى بك الى هنا ؟..

- وأنت .. ما الذى أتى بك الى هنا ؟..

- اجلس ..

قالها وهو يهيىء لى كرسيا بجواره ، ونادى «الجرسون» وطلب لى فنجانا من القهوة..وأطرق طويلا ، ثم رفع رأسه وقال بصوت كالهمس :

- يجب أن أخبرك ..

- بكل ما يقوم فى نفسك !

- نعم .. لن أخفى عنك شيئا مما فى نفسى .. انى أحب . وعندما ألفظ أنا هذه الكلمة ، فاعلم أن أمرا عظيما قد وقع . فأنا من أكثر الناس صلة ومعرفة بالنساء ، ومن أكثر الرجال متعة وامتلاكا للحسان والغانيات والجميلات.. ولكن الذى حدث لى قلب كيانى وأنبت فى قلبى مشاعر أحسها لأول مرة .. هى فتاة لو رأيتها لعجبت كيف أن مثلها يمكن أن يوحى بالحب .. على الأخص الى رجل مثلى .. نحيلة ضئيلة يضرب لونها الى الصفرة ، لا تضع الطلاء ، ولا تعرف الاغراء ولا تلبس غير البسيط الضرورى من الثياب .. هى معلمة فى مدرسة ابتدائية للبنات فى هذا

الحى.. تسألنى :كيف عرفتها ؟ أقول لك : المصادفة.. كانت فى دار من دور السينما مع بعض تلميذاتها ، يشاهدن رواية ملونة بالرسوم المتحركة . فلما انتهت الحفلة وخرجت بأطفالها تعرض لها شاب ثقيل بمغازلة سمجة ، فلم تعرف كيف تحمى نفسها منه ، فتدخلت وأنقذتها ، وأوصلتها الى مدرستها مصونة موقرة مع تلميذاتها .. فشكرت لى ذلك بصوت لن أنساه ! صوت أثر فى نفسى كما تؤثر أحيانا قطرات الندى فى قطعة الصخر .. صوت لم أسمع من قبل نبرة حنانه ورقته ووداعته حتى ولا بين ملائكة السماء!.. منذ تلك اللحظة شعرت أنى محتاج الى هذا الصوت ، كما تحتاج الصحراء الى ماء المطر .. فكنت أجىء فى كل يوم أترقب موعد خروجها ودخولها المدرسة.. لأقابلها وأقرئها السلام ، زاعما لها أنى من سكان الحى ، وأنصرف عنها وقد ملأ صوتها قلبى .. فأعيش على هذا الغذاء ساعات حتى أحس الحاجة الى صوتها من جديد .. هذا كل عملى الآن .. انها كل شغلى الشاغل .. بل هى النور الذى أضاء جوانب نفسى وجعلنى أتحسس دهاليزها المعتمة وأعرف ما فيها من خير وشر ، وفضيلة ورذيلة ، وكنوز وثعابين ، آه .. ليس الفردوس هناك فى السماء .. وليس هنا فى

شارع عماد الدين !. انه هنا فى القلب !.. وربما كان فيه الجحيم أيضا !.. لقد عشت أياما على أمل الزواج منها .. لأننى بغير هذا المصباح لا أرى شيئا ، ولا أميز شيئا .. ولا أفرق حتى بين الحسنة والسيئة ، ولكن دون هذا الأمل هوة أوسع من فوهة جهنم !..لقد تمكنت من اطالة حديثى معها..فعلمت أنها مخطوبة لابن عم لها مدرس هو الآخر فى مدرسة ثانوية..ولقد تبينت من حديثها وتفكيرها أضواء من الحياة النظيفة والعواطف النبيلة والاهداف السامية .. كل همها فى الدنيا اخراج نماذج من البشرية الراقية . وهى تتحدث عن خطيبها كمعاون لها فى مهمتها الانسانية .. لقد كنت أحس الضآلة والحقارة وأنا بجوارها أستمع اليها ، كأنى ذبابة قذرة دانية من شراب مطهر أو دمقس مقدس !.. ماذا ينبغى أن أفعل بعد ذلك ؟ أمامى طريقان. اما الهجوم والعمل على الظفر بها بأى ثمن ، وقد أنجح .. فهى لا ترتاب فى أمرى ، وتجهل كل شىء عنى ، وقدلمحت من حديثها بعض الاطمئنان الى ، والثقة بى ، وليس من العسير أن أنمى ذلك فيها الى حد العطف والميل وربما .. الحب .. واما أن أنقذها منى ، وأتركها لطريقها المستقيم ، وخطيبها المهذب ، وحياتها النظيفة وهدفها السليم .. اذا

دخلت حياتها فقد حطمتها وهدمتها .. فما أنا لها الا نقمة ! وما ذنب هذه الطاهرة الماضى الباسمة المستقبل ، أن تكتشف ذات صباح وهى بين أترابها وزميلاتها وتلميذاتها ورئيساتها أنها ما تزوجت غير « بلطجى » ! .. صناعته التكسب من أتاوات الغانيات والكباريهات ! واذا تركتها .. ولم تدخل هى حياتى فقد حطمتنى وهدمتنى . ماذا أصنع ؟.. انى لفى حيرة. وانى لأرتمى كل يوم فى هذا المقهى ، بعد مقابلتها، لأفتح فى نفسى ميدان صراع : هل أقدم ؟ هل أحجم ؟..

وأطرق غارقا فى صمت طويل . ولم أشأ أنا قطع هـذا الصمت .. فسكت ، وجعلت أداعب بأصـابعى أذن فنجان القهوة ... الى أن رفع رأسه مرددا :

ـ هل أقدم ؟ هل أحجم ؟..

فاكتفيت بأن قلت له :

ـ تلك هى المعركة الكبرى بين الخير والشر!.. وعليك الآن أن تخوضها !..

▭

مرت الأيام بعد ذلك دون أن أرى علوى ، فقد اختفى من كل مكان ... واذا بى أتلقى خطابا من أقاصى الصعيد،

بامضاء « الشيخ عليوه » يخبرنى فيه انه افتتح كتـــابا من الكتاتيب فى تلك المنطقة النائية التى كان يرد ذكرها عـــلى لسانى فى أحاديثى مع « علوى » فى ليالى السمر بالبار... وانه قد انقطع لتربية النشء من أبناء الفلاحين ، وتبصيرهم بالفرق بين الخير والشر والفضيلة والرذيلة . وان الموسى عادت الى حلق شعر رأســه زهدا .. والعمامة والمسبحة ظهرتا لخدمة التقوى البصيرة ، والورع الحقيقى مع العمل المفيد والكدح المجدى ، وان المصباح الذى أضاء قلبه يجب أن يظل مرتفعا عن الدنس.. ولقد تركه لمصيره الطاهر معاهدا نفسه أن يحذو حذوه ، وأن ينهج سيرته.. وانه يكفيه منه شعاع ينير له على البعد كالنجم السحيق ...

وكانت تلك نهاية المعركة ..

▭

وختم صاحبى المرح قصته قائلا :

– والآن هأنتذا قد سمعت قصة ذلك الرجل الذى كان يسمى : الشيخ عليش ، وعلوى بك ، والشيخ عليوه ... فما حكمك عليه ؟..

فقلت له وأنا أرشف قهوتى بعد العشـــاء الشهى الذى قدمه الى :

ـ فلنترك الحكم عليه للملائكة السماء .. فانه سيصعداليهم هذه المرة بملف زاخر ، سيقتضيهم فرزا دقيقا وحســـابا طويلا .. قبل أن يصدروا حكمهم بقبوله النهائى أو طرده الدائم من الفردوس !..

لا كرامة لنبي في وطنه

كانوا فى القرية يطلقون عليه اسم « زنجر » .. ولست أدرى أكان لهذا الاسم صلة بمنظره ؟ لقد كان أسود اللون، قبيح الصورة ، مخروم الأذن . يرتدى معطفا عسكريا ، نحاسى الأزرار ، من بقايا الحرب العالمية الاولى ، قد رث عليه وبلى وضاعت أزراره الا واحدا ربطه بخيط من تيل ، وهو يحمل فى يده هراوة كانت فرعا من شجرة السنط التى تظل « الكباس » القبلى .. يرفعها ويجرى بها وراء الساخرين به والضاحكين منه .. وما أكثرهم ! ما من أحد كان يأخذه على سبيل الجد .. وما كان هو يحفل بآراء الناس فيه .. كان يكفيه دائما رأيه هو فى نفسه .. كان له أخوة يصغرونه سنا تزوجوا واستقروا وأنتجوا ذرية تسعى معهم الى الغيطان وتعود منها بعد الغروب ممسكة بزمام البهائم المحملة بعليقها من الحشائش وأعواد الذرة.. أما هو فكانت فكرة الزواج تثير بالنسبة اليه ضحك القرية وهذرها وعبثها ... من هى تلك التى ترضى أن تتزوج من « زنجر » ؟

وكان هذا هو السؤال الذى اعتدت أن ألقيه عليه ، منذ أعوام طويلة ، كلما ذهبت الى الريف :

ـ هل تزوجت يا زنجر ؟!

ـ أبدا

كان يقولها فى شىء من المرارة والثورة.. فكنت ألاحقه:

ـ وما السبب ؟

ـ مافيش فلوس !..

هذا كان تعليله الوحيد...ورأيت أخيرا أن أبطل هذه الحجة ، فعرضت عليه أن أقوم عنه بكل نفقات عرسه من مهر وفرح وثياب الخ ... لو ظفر هو بالعروس . فسر لذلك وحمد وشكر ، ولكن الايام مرت ولا نتيجة لهذا ولا أثر ... ولم أعلم ما حدث . ولكنى صرت بعد ذلك كلما مشيت بين الحقول والى جانبى « زنجر » أتأمل من أجله كل فلاحة تميس بقدها تحت ثقل الجرة ، كما يميس العود تحت ثقل السنبلة .. فأسائلها :

ـ يا بنت ... أتتزوجين الولد « زنجر » ؟..

فما أسمع الا دقة على صدرها وصيحة :

ـ يا خيبتى !..

وتشتد فى السير مجفلة هاربة حتى تختفى ... واذا زنجر بجوارى يشيعها وهو مجروح ساخط مغتاظ :

ـ داهية لا ترجعك ... وأنا كنت أرضى ؟!..

ثم يأخذ فى اقناعى بأن كل هؤلاء الفتيات دون ما يستحق، ودون ما يريد ، ويأخذ بعد ذلك فى حمد الله اذ ضرب على أبصارهن ، فهذا الرفض منهن نعمة !... ولكنى لا أقتنع، وأظل أطرح السؤال على طوائف مختلفة من بنات القرية ... وأهبط فى سلم الجمال درجات ، وأطأطىء الرأس نيابة عنه وأقبل تضحيات ، حتى وصلنا الى درك لا نزول بعده .. فكل مشوهات القرية ، من الخنفاء والعرجاء والحدباء ، عرضت أمره عليهن .. فما سمعت قط غير تلك الصيحة المنكرة من الأفواه وذلك الدق المستنكر على الصدور .. وتلك العبارة الواحدة من كل الشفاه :

ـ ضاقت علينا الدنيا ... ما بقى غير « زنجر » ؟!..

▭

وصدقت وآمنت أخيرا بصعوبة زواجه .. فهذا رجل تنشأ فى القرية أضحوكة ، وشبت فتيات القرية لا يبصرن

منه ولا يعرفن عنه الا أنه رمز السخرية ، ومناط العبث ومثار الهذر ... لقد كان فى مجرد تقدمه الى أسرة من القرية سوء أدب منه فى نظرها ، وتعد منه على كرامتها ، وخدش لسمعتها ... اذ استقل شأنها فخصها دون أهل البلد بهذه المهانة وقلة التقدير ... هكذا كانت الأسرة تدفعه عنها كما تدفع الفضيحة ... وبلغ الحال من السوء أن أصبح «زنجر» شخصية تغيظ بها البنت المذنبة اذا أردت لها تأديبا ... ولم يشذ عن استخدام هذه « الأداة » التأديبية أحد حتى أنا ... فقد انتهى بى الأمر أن آمنت بما يؤمن به الجميع فى القرية ... وصرت اذا أردت أن أشتم بنتا مهملة من بنات الخدمة فى البيت أو الحقل أكتفى بقولى :

– والله يا بنت لأزوجك من « زنجر » !

فتطفر دموع الخوف والضراعة من عينيها فى الحال ... وأدرك أنى قد رفعت عليها بهذه الجملة سوطا يقيم عوجها ويصلح فاسدها ...

كل هذا و « زنجر » فى ملكوت من نفسه ، وعالم من رأيه ، وحصن من « حالة معنوية » عجيبة ... مرتفع فوق

لجج الاستهزاء العام ، لا تعصف برأسه أنواء ، ولا يصل الى عينيه رذاذ ولا ماء .. لطالما ساءلت نفسى فى أمره : أهو جمود ؟ أهى بلادة شعور ؟ أم هى صلابة شخصية وقوة ايمان ؟!..

أردت أن أتندر به ذات يوم ، فقلت له :

ـ ومن التى ترضى أن تتخذها زوجة لك من بين بنات القرية ؟

فقال بلا تردد :

ـ البنت « سلطانة »

يا للعجب !... « سلطانة » هذه هى أجمل بنات القرية طرا . هى الزرقاء العينين العسجدية الشعر...التى يخشى التقدم اليها أجمل فتيان القرية وأقواهم ... هى التى يتنافس فيها المتنافسون ، ويتزاحم المتزاحمون ، من بين من فرزت مؤهلاته وبرزت صفاته..فما تمالكت أن صحت به:

ـ طيب اسكت .. اسكت ..

مرت الأيام ... وعدت مرة أخرى الى الريف بعد غيبة عنه طويلة ...فراعنى ما أجد ، وأذهلنى ما أرى...

زنجر قد تزوج ..

تزوج بمن ؟..

بفتاة أجمل من سلطانة !...

وعلم زنجر بحضورى ، فجاءنى وكأنه يقول : « هـذه المرة تستطيع أن تسألنى السؤال المعهود » . ولكنى كنت علمت الجواب من قبل ... فاكتفيت بأن أقرأ على وجهه سطور انتصاره..بل لقد قرأت ذلك على وجوه أهل القرية أجمعين..لم يعد « زنجر » فى نظرهم ذلك « الاضحوكة » .. ان الاسم لم يزل حقا لاصقا به . ولكن قد غسل عنه كل معنى من معانى الهزء والسخرية ..

كيف حدثت المعجزة ؟..لم يخبرنى هو ..ولكن الذى قص على شيخ وقور من شيوخ القرية ، قال :

ـ حدث منذ ثلاثة أشهر أن حضرت الى القرية «ترحيلة» « لنقاوة » الدودة من زراعة القطن وكان يعمل فيها بنـات كثيرات من قرى بعيدة.. فيهن جميلات وفيهن رشيقات.. وكان زنجر هو « الخولى » عليهن..فاذا هو يلمح من بينهن فتاة هى أسطعهن جمالا وأوفرهن سحرا وأكثرهن فتنة.. بل هى حسن لم نر له مثيلا فى قريتنا..فلزمها فى العمل ، وتودد اليها .. وخفف عنها..وكان لا يأمرها الا بمعروف

ولا يعاملها الا برفق ولا يحادثها الا بلطف..وتفتحت نفسه لها بيضاء جميلة كما تتفتح زهرة القطن .. وكانت الفتاة طيبة القلب ، فأبصرته « بعين » قلبها ولم تبصره بعين أذنها .. رأت فيه « الانسان » ولم تر فيه « الاضحوكة » .. فهى من قرية بعيدة لا تعلم عنه شيئا .. فلم يقم بينه وبينها سد قديم من تلك الشخصية المبنية بلبنات الضحكات ، فى بلده ، على مدى الاعوام .. لقد بادلته لطفا بلطف ، وعندما قال لها مازحا ذات يوم : «تتزوجيننى ؟» لم يرعه الا قولها : « نعم » .. فقال لها :

ـ صحيح ؟

فقالت :

ـ صحيح

ـ تحلفى على المصحف ؟.

ـ أحلف

وأقسمت انها جادة .. وأنها لا تطمع فى زوج خير منه فطار زنجر فرحا الى أهله يزف اليهم الخبر .. ولم يصدق أهله هذا الكلام الا بعد أن سمعوا قبول الفتاة بآذانهم... فارتفعت « الزغاريد » فى القرية...ودفع زنجر المهر لأم

العروس ، فأبوها قد توفى وتزوجت أمها بغيره . . . وجاءها بحلق و « غوايش » فضة وخلخال ومرتبة ولحاف ومسندين ومخدتين وحلة وطشت وفناجين قهوة وبراد شاى وصينية وأربع ملاعق وأربعة أطباق . . الخ الخ . . ثم أعدت العدة ليوم الفرح فأحضروا الجمل وطفق زنجر مع اخوته يزينونه بسعف النخيل والبوص والجريد والشال الأحمر . . . وأتموا صنع الهودج الذى سيحضرون فيه العروس الفاتنة من بلدها . . . كل ذلك بين غناء أهل زنجر وغبطتهم بفوز هذا المظلوم . . . وبين نظرات الدهشة والحسرة والندم من بنات القرية اللاتى سخرن من زنجر ، فأظفره الله بمن لا يصلن الى كعبها ملاحة وطهارة ودماثة . . .

أصغيت الى كل هذا . . وعلمت سر « المعجزة » . . لقد جاءه الخير والتقدير ورد الاعتبار من قرية أخرى بعيدة . . هكذا أنصفه الله . . بالطريقة التى أنصف بها من رضى عنهم من الرسل والأنبياء

الدنيا رواية

الدنيا رواية حقا فى نظر أولئك الذين يؤمنون بنظرية حلول الروح . تلك النظرية التى تزعم أن عدد الأرواح فى الكون محدود، كما أن عدد الممثلين فى المسرح محدود. وأن الذى يتغير هو الادوار التى يتقمصها أولئك الممثلون. وهى أدوار لا حد لها ولا نهاية ، فى تلك الرواية الاستعراضية العظمى !..

اذا سايرنا أصحاب هذا الزعم فى زعمهم ، فان الصورة التى يمكن رسمها للدنيا تبدو جديرة بالتأمل . ومن السهل تخيل الارواح فى ظهورها واختفائها فوق مسرح الدنيا ، على الوجه الذى يحدث بالضبط فى المسارح التمثيلية . فهنالك ، مثلا ، بعيدا عن هذه الارض وشمسها وقمرها ، مكان خفى ، يمكن أن نتصور فيه ملاكا يقوم بوظيفة «الريجيسير» ـ أى مدير المسرح ـ يعطى الاشارة للشمس والقمر ، فتسلط الاولى أشعتها الذهبية القوية ، والآخر أشعته الشاحبة الفضية على سطح الارض .. كما تسلط مصابيح « البروجكتور » الكهربائية على خشبة دار التمثيل.

ولا بأس من أن تتخيل ذلك « الملاك » فى مكانه هذا يباشر أعماله اليومية ، وينظر فى « اللوح » الذى أمامه ، المسطورة فيه الادوار والاقدار ، ويستعرض ألوف الارواح المهيأة للظهور على مسرح الدنيا ، ويستقبل الالوف من الارواح الخارجة منه ... ولا ضير أيضا فى أن نطلق الخيال أبعد من ذلك ، لينسج لنا قصة روح من بين تلك الارواح العائدة

▭

ظهر الروح الذى نروى قصته ، خارجا من الدنيا وهو مدهوش مذهول ، كمن أفاق فجأة من نوم عميق ، وهو يردد هذه العبارة :

ـ يقولون انى مت !... أأنا الآن ميت حقيقة؟! زوجتى التى تتحطم تفجعا تصيح بأنى أموت ، وأنى مت .. أخبرونى أيها السادة ... هل أنا حقا ميت ؟!!

ولم يلتفت اليه « الملاك » المنهمك فى أعماله ، الشاخص ببصره الى اللوح الذى أمامه ، والسجل الذى بين يديه ، واكتفى بأن هز رأسه وقال كالمخاطب لنفسه :

ـ كلكم هكذا ... لا تريدون أن تصدقوا أنكم متم . ماذا أصنع لكم ؟.. أنا .. ليس لدى وقت أنفقه فى اقناعكم

واقامة الأدلة والبراهين لحضراتكم .. تقدم يا .. ماذا كان دورك فى الدنيا هذه المرة ؟..

ـ كنت طبيبا . وكانت لى زوجة .. آه .. ان زوجتى هى التى تموت الآن ولا شك حزنا على أنا... ياللمسكينة!.

ونسى ذلك الطبيب ـ أو روحه ـ كل ما حوله ، وراح يذكر كل دقيقة من دقائق حياته التى يؤكدون له أنها انتهت ... كان طبيبا جراحا ناجحا ، تخرج فى كلية الطب متفوقا ، وكل شىء يبتسم له ، لقد كان من أولئك القلائل الذين ينالون دائما ما يريدون ، كان حسن المنظر لطيف المعشر ، يظفر بنظرات كل ممرضة وطالبة. لكنه كان يعتقد أن هناك امرأة واحدة لابد أن تستحوذ على كل قلبه وفكره وجسمه ، ولابد لها أن تأتى يوما ، انه أرادها ولابد له أن ينالها فالقدر قد عوده أن ينيله كل ما يتمنى ، فالنجاح فى مهنته تمناه ففاز به ، وقد تمنى المال والترف ، فجاءه المال من عمله ومن ميراث عائلى . وهو بعد ذلك يتمنى أن يلقى الزوجة التى يعطيها حياته وكده وكسبه ... فوجدها ذات يوم فى صورة مريضة ، أتت ليجرى لها عملية استئصال الزائدة الدودية ، ما ان وقع بصره عليها حتى اضطرب . أترى الارواح تتلاقى حقا ؟كيف تلاقت روحاهما من النظرة

الاولى !؟ وكان من المستحيل عليه أن يتصور أنه هو الذى يجرى لها الجراحة بيده ، ويشق جسدها بمديته . ان قلبه لن يحتمل ذلك. واعتذر لها ولأهلها بشتى الحجج ، وعهد بأمرها الى جراح آخر قال انه أمهر منه . ولم تدرك هى معنى ذلك الاعتذار الا يوم فاتحها قائلا : « لقد خلقت لاكون زوجك لا جراحك » ... وكانت هذه الزوجة كل شىء فى حياته . وكان هو كل شىء فى حياتها . ما من كائنين اتفقا والتصقا وأصبحا كائنا واحدا مثل هذين الزوجين. كانت زوجته تقول له يوم ترى جرحا فى اصبعه : « يا للعجب ! كأن الألم فى اصبعى أنا . أهو وهم ، أهو حقيقة ؟ كيف ينتقل الوجع المادى من أصبعك الى أصبعى هكذا أيها العزيز؟» وكان هو يقول لها : « العجيب حقا هو أن كلامك هذا هو عين ما عندى . لقد شعرت فعلا يوم جئتنى لأشق جسدك، كأن المشرط سيشق جسدى أنا ، وأنا بالطبع باعتبارى جراحك لن أعطى مثلك البنج ، فتصورى جراحة تجرى لى بغير بنج ، بينما أنت المريضة لا تحسين الألم ! » وعاش هذان الزوجان السعيدان أعواما كلها هناء . ولم ينجبا أولادا . ولم يحل ذلك دون تعلق أحدهما بالآخر ... بل لقد كرها الاطفال حتى لا يسمحا لغيمة أسف أن تخيم

على حبهما . انهما هكذا ناعمان أحدهما يكمل الآخر . ولا حاجة لهما بثالث .. وجاء اليوم المشئوم... فقد نهض على عادته فى الصباح المبكر لاجراء عملية جراحية ، ولكن زوجته أحست فى ذلك اليوم خطرا ... وتنبأت بكارثة ، كما تتنبأ آلة الرصد بكسوف الشمس . فتوسلت اليه أن يبقى معها ذلك النهار . فأبى التقصير فى واجبه. ان مرضاه فى انتظاره . فادعت المرض. فلاطفها ، وداعبها حتى كشف بظرف عن تحايلها ، وقبلها قبلة طويلة ، وانفلت من بين ذراعيها المتشبثتين بعنقه . وتركها جامدة كالتمثال ... وفى الظهر عاد وفى جسمه السم. فقد شرط قفازه أثناء الجراحة، وسرى الداء فى دمه من أصبع مجروحة ، واجتمع حول فراشه أساتذة الطب وأساطين العلم لينقذوه من الموت. ومن خلفهم زوجة تموت وتحيا مع كل نفس من أنفاس قرينها الحبيب ... ولكن .. كان الموعد محددا لانتهاء دوره فى الحياة عند هذا الموقف . وكان على الروح فى ذلك الوقت أن يخلع الجسد كما يخلع الممثل ثياب التمثيل . وعندما كان يسلم النفس الاخير ، بين شهقات امرأته المكتومة ، وبريق دمعها المنساب ، ووقفتها المترنحة المتجلدة ، وابتسامتها المموهة الدامية خيل اليه أنه يرى الحقيقة تضطرب فى

الظلام خلف عتبة الحياة . نعم ، الحقيقة هى أن الحياة ليست حقيقة. كان احساسه احساس ذلك الممثل الذى عاش دوره، ونسى أمره ، وأبكى الحاضرين وبكى هو نفسه ، الى أن فرغ من الموقف الاخير ، وشعر بنزول الستار ، فالتفت، فاذا عينه تلمح فى الظلام « الكواليس » بما فيه ومن فيه ، فسكن ثائره ، ورفع يده ليمسح دمعه ، قبل أن يدلف الى داخل المسرح فيسخر منه زملاؤه ويسخر هو من نفسه . ولكن عبرات المشاهدين كانت ترده اليهم والى التعلق بهم وبدوره. فالعواطف فى ذاتها حقيقة .. كذلك الطبيب المحتضر... خطر له أن يبسم لزوجته الثكلى ، وأن يهمس لها أن الأمر زيف فى زيف ، ولكن.. كيف يكون كل هذا الحب زيفا ؟ ... مهما يكن ما بعد الحياة ، وما بعد التمثيل فان الدموع فى ذاتها جديرة بالاحترام ، والحب فى ذاته أجل من أن يهزأ به ، ان الحب حقيقة ، وان ما يربطه بزوجته لا يمكن أن يخلع مع رداء التمثيل ، ولو اجتمعت عليه كل ملائكة السماء !.. وهكذا ترك الميت خشبة « الأرض » وخلع رداء جسده ، ودخل على « الملاك » المدير ، روحا عاريا مجردا .. ولم يحس بعد فرقا كبيرا بين ما كان منذ لحظة وما يكون الآن . أين هو ذلك الموت الذى يقولون عنه ؟

ما الذى تغير فيه ؟ ها هو ذا يحب زوجته حبا جنونيا . . وكل أمله أن يلقاها . . ولكنه لا يستطيع . . لانه ميت ، كما يقولون . اذ يراها ، ويرى جزعها ، ويريد أن يمد يده اليها ، وأن يحادثها ليهون عليها . ولكن صوته لا يبلغها ، ويده لا تطيع ارادته . ما من أعضاء مادية تأتمر الساعة بأمره . كأنها أشياء منفصلة عنه . لا يملك تحريكها ، حاله الآن كحاله عندما كان ينتابه فى الدنيا كابوس فيريد وهو فى فراشه أن يتحرك ، ولكن ارادته لا تطاع . . انه الآن ارادة مطلقة فى الهواء لا تسيطر على أجسام ، ووعى مطلق فى الفضاء لا يؤثر فى أشخاص ، عدا ذلك فهو هو لم يتغير فمن يدريه أن هذا موت ؟ لعله نوم عميق أو حلم عابر أو كابوس مؤقت !.

والتفت مرة أخرى الى « الملاك » المنهمك فى أعماله وقال له :

ـ أنا لا أحس أنى ميت

فنظر اليه « الملاك » نظرة شزراء وقال :

ـ أنت حر . .

ـ أريد أن أعود الى زوجتى

ـ قل هذا لعزرائيل من فضلك

ـ عزرائيل ! أتمزح ؟؟

فلم يتمالك « الملاك » وقال نافد الصبر :

ـ ليس عندى وقت للمزاح يا سيدى . آه ، لو درى عزرائيل ! ذلك الذى لا تبطل له شكوى من كثرة أعماله ، لمجرد قبضه عدة أرواح كل يوم، ينفض بعدها يديه ويستريح . أما أنا فيجب على أن أقاسى من أرواحه وأتحمل حماقاتها ، وأصغى الى ثرثرتها ! يا حضرة الفاضـــل .. ألم يقبضك عزرائيل ؟ كيف تريد اذن منى أن أعيـدك الى زوجتك ؟ واذا كان كل روح يقبضها زميلى أعيدها أنا ، فما الفائدة اذن من قبض الارواح ؟!

ـ أنا شخصيا لا أرى فائدة . لقد كنت مع زوجتى فى أتم هناء . فلماذا تتدخلون أنتم لتفرقوا بين المحبين ؟!

ـ لا نستطيع يا سيدى الفاضل أن نتركك فى هذا الدور، أعنى فى هذا الجسد كما تحب أنت وتشـاء ، لان روحك تلزمنا فى عمل آخر

ـ عمل آخر ؟

ـ طبعا . لابد لك من جسد آخر تحل فيه ، ودور آخر تقوم به . وهل تظن أن هذا كان أول أدوارك أو آخرها ؟.

لقد سبق لك أن حللت فى مئات الاجساد ، وقمت بمئات الادوار

ـ أنا ؟ أنا سبق لى أن كنت شيئا آخر غير زوج يحب زوجته ، وطبيب جراح فى ...

فابتسم « الملاك » ابتسامة الساخر المتبرم ، الرائى لجهل محدثه . وأخذ يقلب فى صمت صفحات سجله الضخم ، الى أن وقف على صفحة ، نظر فيها لحظة ثم قال :

ـ اسمع يا سيدى .. قبل أن تكون زوجا وطبيبا ، كنت لصا سكيرا ، فتك براقصة فى ملهى ليسرق حليها .. ومات على المشنقة !

ـ أنا ؟!

ـ انتظر ... ثم كنت قبل ذلك جنديا بسيطا قتل فى معركة . ثم كنت طفلا مات بالدفتريا ، ثم كنت امرأة ماتت فى الوضع .. ثم كنت رجل دين مات بالشيخوخة ، ثم أميرا مات مسموما . ثم كنت ساحرا هنديا لدغته أفعى ، ثم كنت فتاة انتحرت فى حادثة غرامية ..

ـ كفى . كفى . انى لست مجنونا لأصدق هذا الهراء . أنا طبيب جراح . ولى زوجة أحبها ، واذا لم ألحق بها فهى

لابد لاحقة بى . ولن أصدق أبدا أنى كنت أمثل دورا .

فنظر اليه « الملاك » بابتسامته الهازئة وقال :

ـ كل مرة تقولون لى عين هذا الكلام ، أنت وغيرك .. انكم لا تصدقون أن هذا كان تمثيلا

ـ تمثيلا ؟... حبها لى وحبى لها ... وحياتنا معا التى لا نتصور حياة غيرها !.. لا .. لا ..

ـ انك لم تزل واقعا تحت تأثير دورك .. الى أن تذهب الى البحر ، فتغسل ذلك الطلاء ، وتزيل ذلك « المكياج » عندئذ فقط تكون على استعداد لارتداء الدور الجديد

وأشار « الملاك » الى أحد مساعديه العديدين،اشارة ذات معنى ، فتقدم ليقود روح الطبيب ، ولكنه وقف ونظر الى عتبة الباب وقال لرئيسه :

ـ عزرائيل أرسل الينا روح امرأة

ولم يكد يتم كلامه حتى ظهرت بالباب روح الزوجة ، وما كاد روح الزوج الطبيب يرى روح زوجته،حتى صاح فرحا :

ـ ألم أقل انها لابد لاحقة بى !

واندفع كل منهما نحو الآخر . وقالت روح الزوجة :

ـ آه يا زوجى العزيز ... لم أستطع البقاء هناك بعدك، لقد كانت ليلة فظيعة ... تلك التى رأيت نفسى فيها وحيدة بدونك ، أناديك فى الظلام.. ولم أتمالك نفسى عند الفجر، وأنا محطمة الاعصاب فتناولت كل ما كان بجـــوارى من أقراص الاسبيرين طالبة النوم الأبدى، والراحة السرمدية، أو اللحاق بك ، وها هو ذا أملى يتحقق وأراك . كيف أنت أخبرنى . انك بخير فيما أرى ، كيف قالوا اذن انك مت ؟ أنا أيضا لست ميتة فيما أعتقد . كنت أتمنى الموت... وقد شعرت عندما استدعوا الطبيب والاسعاف بعد تناولى الاقراص، أنهم يهمسون حـــولى بكلمة « الموت » ولكن .. أين هو الموت ؟! أين هو ذلك « الموت » ؟!

ولم يستطع « الملاك » صبرا .. فنفخ صائحا :

ـ أف ! .. لعنة الله على هذه المهنة !..

▭

طفق الروحان يثرثران كالاطفال ، وقد أعماهما الفرح عن كل ما عداهما، ولم يحفلا بمن حولهما ، وأدرك «الملاك» أنهما لن يفرغا من الحديث ، اذا تركا وشأنهما ، فأومأ الى

مساعده أن يقودهما الى حيث يغسلان عنهما آثار دوريهما .. الى « بحر النسيان » ..

واتجه المساعد نحوهما ليذهب بهما ، فجفلا منه وابتعدا عنه ، والتفتا الى « الملاك » صائحين :

ـ ايراد التفريق بيننا ها هنا أيضا ؟

ـ لابد من ذلك

ـ نتوسل اليك ... نتوسل اليك أن تدعنا معا دائما . فى كل مكان ، وفى كل زمن ، وفى كل دنيا . ماذا يكلفك هذا أيها الملاك اللطيف ؟

ـ هذا قد يحدث لنا بعض الارتباك فى العمل

قالها بصوت بدت فيـــه رنة لين ، فمضى الزوجان فى الالحاح :

ـ نتوسل اليك . مثلك لن يعدم وسيلة . اجمعنا دائما ولا تفرق بيننا أبدا

ـ سأرى ... سأرى ... ربما دبرت لكما ذلك . لكن اذهبا الآن قبل كل شىء واغتسلا فى البحر

ـ شكرا لك ...

لفظها الزوجان بحرارة وفرح ... وذهبا فى الحال مع المساعد صاغرين الى بحر النسيان

وهناك وجدا بحرا هائلا ، له شاطىء جميل مثل شواطىء المصايف الشهيرة . والبحر يعج بالارواح السابحة فيه . فخلب لبهما المنظر . واندفعا الى البحر ضاحكين سعيدين كما كانا فى الدنيا

وقفزا معا الى الماء، يتناغيان بأرق الاسماء ، وغمرهما موج أبيض كأنه رغوة الصابون . . .

فاذا هما يحسان كأن شيئا يزول عنهما رويدا رويدا . . . واذا كل منهما يردد من أعماق نفسه متعجبا متسائلا : « من أنا ؟ ومن هذا الذى بجوارى ؟ » وخرج من هذا البحر من خرج اذعانا لاوامر المساعدين ، وبقيا هما حتى أشار اليهما المساعد الموكل بهما ، فخرجا كما تخرج اللوحة المكتوبه من الماء . . . لا أثر فى نفسيهما لحرف واحد من حروف حياتهما الماضية . وأعادهما المساعد الى « الملاك » وقد جاءت نوبتهما فى المثول أمامه، لتوزيع الادوار الجديدة، فسأل كلا منهما :

ـ هل تعرف من أنت ؟ وأين كنت ؟. وهل تعرف من هذا الذى بجوارك ؟

فأشار كل منهما بالنفى. فقال « الملاك » كالمخاطب لنفسه وهو يراجع سجله الضخم :

ـ انى وعدت مع ذلك أن أجمعكما مرة أخرى .
دوران يصلحان لذلك ، فلتكن أنت اذن طيارا رياضيا .
وأنت فتاة عاطفية .. أيها المساعد .. اقذف بهما الى مسرح « الارض »

كل شيء كان قد أعد ليصير « هو » طيارا ، فقد خرج الى الدنيا طفلا فى أسرة متوسطة المركز طيبة المنبت، وشغف فى حداثته بالالعاب الرياضية ، وغدا فتى وتعلم فى المدارس، وأصبحت له ميول وموجهات ، بعضها يدافع البعض، ولكن الظروف النهائية وجهته على الرغم من كل شيء الى الطيران، فدرسه ، والتحق باحدى شركات الملاحة الجوية . أما « هى » فقد شبت خيالية النزعة مدللة مترفة فى أسرة ميسورة الحال، مفككة الاخلاق. الأب مشغول بنفسه وملاهيه، والأم ساذجة ضعيفة الارادة . وولعت الفتاة بالرقص والحياة الصاخبة الحديثة . وكان « هو » فى طرف من المجتمع و « هى » فى طرف ، ولم يكن من السهل أن يلتقيا . فهو لا يرتاد المجتمعات التى ترتادها هى ، ومع ذلك فقد كان لابد من التلاقى ... وقد حدث ...

كان يقود طائرته ذات يوم . وكان الباب الصغير الذى يفصل بين مكان قيادته وبين مكان الركاب مفتوحا على غير العادة ، فلمح فى أحد المقاعد فتاة تقرأ احدى المجلات . ما كاد يراها حتى ارتجف ، وارتجفت معه الطائرة بمن فيها ، فقد غفل لحظة عن قيادتها . وانزعج الركاب قليلا ، ورفعت الفتاة أهدابها الطويلة . فتقابلت عيناهما . وعجب مهندس اللاسلكى لما حدث ونظر الى الطيار بجواره ، فألفاه يصيح بين ضوضاء المحركات قائلا : « انى أعرفها . أين رأيتها ؟ متى رأيتها ؟ » . وما كاد يهبط بالطائرة فى مطار الوصول ، حتى قفز منها وتبع الفتاة ، وتقدم يخاطبها كأنه يعرفها من قبل . أما هى فلم تنهره ولم تغضب منه ، بل أحست الارتياح والرضا ، وشيئا من الاطمئنان الخفى الى هذا الشاب . ومضى هو يقول باخلاص حار :

ـ انى آسف اذ أضطر أن أقول لك تلك العبارة التى ابتذلها الشبان اليوم : « أين رأيتك من قبل ؟ » ثقى انى لا أتخذها حجة لمحادثتك .. ولكنى ... عندما وقع بصرى عليك شعرت فى الحال انى أعرفك وأنى رأيتك فى مكان ما ، انتظرى ... ربما تلاقينا آخر مرة فى ... فى بحر ؟...

فأجابت باسمة :

ـ من الجائز ... فى « بلاج » من هذه «البلاجات» ..

ـ ربما .. أخشى أن تكون الطائرة قد أزعجتك عندما ارتجفت

ـ لا .. انى فقط عند هبوط الطائرة ، أحس عادة بعض الصداع . ولكن عندى دواء لذلك ..

ـ قرص واحد من الاسبيرين يكفى

فظهر فجأة الارتياع على وجه الفتاة وهمست :

ـ اسبيرين !.. أرجوك .. لا تلفظ هـــذه الكلمة ، لا أمقت شيئا مثلما أمقت الاسبيرين . ربما اتهمتنى بالخبل . ولكنى منذ صغرى أرتاع لمجرد رؤيته .. ســـامحنى .. هنالك أشياء تولد فينا ولا نستطيع لها تعليلا

ـ لا تؤاخذينى . انى آسف .. لم أقصد ايذاءك مطلقا

ـ أعلم ذلك . هذا ليس ذنبك . انما هى نزوة من نزواتى ليس لها مبرر . ألا يتفق ذلك أحيانا لكثير من الناس ؟ ألا يحدث لك أنت أيضا أن تكره شيئا بدون سبب ؟

ـ نعم .. نعم .. أنا أيضا فى الصغر كنت أحس الاغماء كلما ذكرت أمامى كلمة « عملية جراحية » . وعبثا حاول

أهلى تعليل ذلك . ولكن هذه الحالة زالت بزوال عهد الصبا .. وأصبحت بعدئذ شخصا عاديا ..

ـ أرأيت ؟ فينا أشياء كثيرة متقاربة

ـ هذا من حسن حظى

منذ تلك المحادثة الاولى ، وهما يشعران كأن شيئا يجذب أحدهما الى الآخر. ولم يمض قليل حتى تم بينهما الزواج، ولكن... مرت الايام وكل منهما يلحظ أنه يسير فى طريق غير طريق الآخر . هو يأتى من عمله متعبا فيجد المنزل يصخب بأنغام «الرومبا» و « الفوكس تروت » و « الهوجى بوجى » فينبهها برفق :

ـ أما تكفينى طول النهار ضوضاء المحركات ؟.

فتجيبه بتبرم :

ـ محركات ؟! هذا كل ما تعرفه. أنت لست «رومانتيك» وكان يبلغ هذا الخلاف بينهما فى الاتجاهات. وكان يعلل النفس بأن هذا طيش قد تمحوه الأمومة . وأنجب منها طفلين جميلين، ولكن الأمومة لم تقهر عندها المزاج . بل

المزاج هو الذى قهر الأمومة ... وأمسى الزوج الطيب يجد ليالى زوجته مشغولة كلها بالحفلات والسهرات. وتعدى الأمر الى ما هو أمر . فقد دخل عليها يوما فوجد لديها شابا لا يعرفه . زعمت أنه من رفاق الطفولة ، وأنه أخوها فى الرضاع. وقام بين الزوج وزوجته شجار، حسمه الزوج بالحسنى مراعاة لاولاده . ولكنه أدرك عندئذ أن علة شقائه فى الحياة هى هذه المرأة . وكرت الليالى حمراء بالنسبة الى الزوجة اللعوب ، بيضاء من السهاد ، سوداء من الهم ، بالنسبة الى الزوج المنكود. ولم يعد يحسن عمله لقلة نومه واعتلال صحته ، وسمع همسا فى الشركة المتذمرة ينذر بالشر ، كما سمع همسا عن سلوك امرأته يندى له الجبين الحر . وأكلت نفسه الهموم ، ونخرت فى قلبه الشكوك . . وفى ذات ليلة دهم زوجته وهى فى أحضان شاب . . فارتاعت وقالت متلعثمة انه معلم رقص يعلمها الرقصة الجديدة. وفقد الزوج صوابه فأخرج مسدسه وأطلق على زوجته رصاصة أردتها قتيلا . وقفز « معلم الرقص» المزعوم قفزة « فوكس تروت» من أعلى السلم وهرب كما يهرب الثعلب من حظيرة الدجاجة . . وسمع الجيران الطلق النارى ، فصاحوا، وأقبل « البوليس » ينفخ فى صفارته وثاب الزوج الى رشده ،

وفطن الى الفضيحة، فأفرغ فى رأسه رصاصة أخرى أردته قتيلا هو الآخر ...

ورفع « الملاك » بصره من فوق سجله الضخم على شجار روحين داخلين عليه ... أحدهما يقول للآخر :

– سخيف !. أقسم أنك سخيف . تطلق على مسدسك لسبب تافه كهذا ؟! ما أضيق ذهنك أيها الزوج المغفل !.. ولكن هل ينتظر من مثلك تصرف غير هـــذا !؟ انك طول عمرك كنت زوجا مغفلا !..

– اسكتى أيتها المرأة..لا داعى لسلاطة اللسان!.ولكن الذنب ليس ذنبك .. الذنب ذنبى أنا .. لا شك أنى جننت حتى أقتلك وأقتل نفسى معك فى نفس الوقت.ما الفائدة؟. ماذا فعلت أنا اذن ؟.. ها أنت ذى معى هنـــا أيضـــا .. يالمصيبة !.. يا للمصيبة !..

ولم يجد « الملاك » بدا من التدخل ، فصاح فيهما طالبـا اليهما السكون واحترام المكان .. فتقدم اليه الزوج – أو على الأصح روحه – صارخا متوسلا :

– يا ملائكة السماء !.. يا شياطين جهنم !.. يا عفاريت الجن .. خلصونى من هذه المرأة !.

نصيب

فى حياة كل رجل لحظة يشعر فيها فجأة بأنه مثل غطاء الطبق الذى لا يجد طبقه ، والويل لمن لا يفطن الى هـــذا الشعور الا متأخرا ، انه يترك عندئذ كل شىء وينقلب مجنونا بتلك الفكرة المسيطرة : البحث عن شطره الآخر . كان بطل هذه القصة من هذا النوع من الرجال . شـاب مجد طموح تخرج فى الجامعات مهندسا بارعا . درس فى مصر ثم فى الخارج وكان فى مقدمة أقرانه دائما . لا يعرف غير العمل ولا تنظر عيناه غير طريق مستقبله الناجح . وقد ركض فى هذا الطريق بالفعل حتى بلغ درجة « مدير أعمـــال » وكاد يشرف على الخامسة والثلاثين وهو مستغرق هـــذا الاستغراق فى عمله الهندسى . واذا بغتة تدهمه هذه اللحظة الحاسمة . واذا هـذا الغطاء الذى كان يجرى على « سنه » ناهبا الأرض كأنه كل شىء ، قد اصطدم بجدار تلك اللحظة العجيبـــة ، فوقف ودار حول نفسه دورات ثم انبطح على ظهره ورن معدنه رنينا مكتوما وكأنه يهمس : « ما أنت الا غطاء الطبق ! » وأفاق المهندس بعدئذ وليس فى رأسه غير فكرة واحدة : الزواج

ودهش أصدقاؤه لرنين هـذه الكلمة فى فمه ، فهم لم يسمعوها قط منه ، ما الذى حدث ؟ وهم الذين طالما فاتحوه من قبل فى هذا الأمر ، فلم يجدوا منه غير الصدوف وعدم المبالاة. لقد كان كلما ذكرت أمامه « الزوجة » ـ أو النصف الآخر ، أو « شريكة الحياة » ـ يبدو عليه كأن الموضـوع لا يعنيه ولا يفهم مغزاه ، ويبسم أحيانا ابتسامة المتعجب لغلو الناس فى الوصف واسرافهم فى التعبير . لقد كان يحس احساسا أكيدا أنه كامل بنفسه . وانه واحـد صـحيح لا نصف ولا ثلث ولا كسر من عدد . انه درس الحساب والجبر والرياضيات العليـا فمنذا يقنعه بأنه أقل من رقم ، وأنه نصف فقط ، وأن هنالك نصفا آخر فى مكان ما ينقصه ليكون الناتج واحدا صحيحا ؟ هذه المسألة الحسابية الآدمية من الذى وضعها ؟ ولماذا ؟ ولمصلحة من ؟ لا .. لا .. انه لا يظن الطبيعة مشغوفة الى هذا الحد هى الاخـرى بعلم الحسـاب .. لتجعل من الرجال والنسـاء أرقاما أو كسورا من أرقام تجمع بينها وتطرح. كان هذا كلامه فيما مضى . أما الآن فهو يقول لأصحابه : « صدقتم . الحياة حساب .. الحياة مسألة حسابية . أنا كسر . أنا نصف .. اجمعونى من فضلكم على النصف الآخر ! ». لكن بقيت المعضلة

الكبرى : كيف العثور على ذلك النصف ؟ هل يترك الأمر للمصادفة أو عليه هو بالسعى ؟ هل القدر هو الذى يخط على لوح الوجود ـ بالطباشير ـ جامعا الأنصاف بعضها الى بعض ؟ أو أن على الرقم المشطور أن ينفلت هو بنفسه من تحت اصبع القدر وطباشيرته ويسرع زاحفا على اللوح بحثا عن بقيته ؟ ولبث المهندس أياما لا يلقى على معارفه المتزوجين غير هذا السؤال الذى لا يتغير : « كيف عرفت زوجتك؟ » ، وكانت الاجابات مختلفة ، فمنهم من يقول : « رأيتها فى سهرة عند بعض الاقارب أو الاصدقاء » ، ومنهم من يجيب : « قابلتها فى سوق خيرية فأعجبتنى ، فسألت عنها » ، ومنهم من يذكر : « كانت على البلاج ، فتبعتها وعرفت عنوانها »، ومنهم ـ وهم الندرة فى هذا الزمان ممن يؤمنون بالنصيب أو اليانصيب ، ولا يرضون بطرائق الاختيار الحديثة ـ همسوا له : « والله البركة فى الخاطبة أم شلبى » . وحار المهندس فى هذه الاساليب جديدها وقديمها ، ولكنه لم ينكر ولم يرفض ولم يعترض ... لقد قبلها كلها . كل سبيل يؤدى الى شطره الآخر لن يتردد فى سلوكه . لقد فتح عينيه واسعتين وذهب بهما يجوس خلال السهرات والطرقات والشوارع والاسواق . لكن ... وا أسفاه ، أما هذه

فقصيرة وأما تلك فطويلة.. والاولى أنفها لا يروقه والثانية فمها لا يعجبه .. ثم اذا هو أغضى عن المظهر فمن يدريه بالمخبر ؟ لقد جند كل أصدقائه وزوجاتهم للبحث معه . ذلك أنه لم يكن له أقارب فى القاهرة ... فان أهله فى الريف .. وليسوا ممن يحسنون فهم ما يريد .. ولم تكن صلته بهم تبيح لهم التدخل فى شئونه ، فقد كانوا أقارب من درجة بعيدة .. لان والديه ماتا بعد تخرجه فى الجامعة بقليل ... لذلك كان اعتماده على معارفه .. وأغلبهم كان يرتاب فى أنه يأخذ الأمر اليوم على سبيل الجد . فكانت معاونتهم له ضئيلة فاترة فى أكثر الاحيان ، ثم زادهم فتورا وانفضاضا من حوله ما رأوه من تردده فى الاختيار وعدم بته فى الأمر ، ونبذه كل فتاة عرضت عليه بحجج مختلفة. على أنه لم يكن فى الحقيقة متعنتا ولا متعللا ، انما هو ذهنه كان قد صور له امرأة بملامحها وخصالها ، وأوهمه أن تلك هى نصفه الذى لا يرضى به بديلا . فهو لا يريد أن ينتقى الا طبقا للنموذج الموضوع فى رأسه. وطال بحثه عبثا وذهب جريه سدى . فقعد ذات مساء يائسا ونظر الى السماء قائلا : « تعبت أيها القدر ! الكلمة لك أنت الآن . سأغمض عينى وأمد يدى ، فضع فيها من تشاء ! » . وما جاء الصباح حتى

أرسل فى طلب الخاطبة أم شلبى ، نعم ... ولم لا ؟ ما دام قد نزل عن نماذجه وصوره ، وقنع بالنصيب المكتوب فى اللوح ، وآسلم قياده للقدر يخط بيده ما يريد .. فماذا يصنع غير ذلك ؟ أليست أم شلبى من عملاء القدر أو من أدواته ؟... من يدرى ؟ لعلها هى الطباشيرة فى أصبعه . اذ لا يمكن للقدر أن تكون له وسيلة أخرى يفرض بها فى مثل هذا الأمر ارادته السماوية . وأقبلت تلك « الطباشيرة » فاذا هى امرأة ضخمة بدينة سمينة جسيمة كأنها فيل . وهل ينتظر أن يملأ يد القدر أو يليق بأصبعه حجم أقل من هذا الحجم ؟! وعرض المهندس الخاطب طلبته ، ووصف لها على قدر الامكان بغيته . فمضت المرأة واختفت أياما ثم عادت ومعها سجل حافل بأسماء الأسر ، ومنديل كبير يضم عددا من الصور الفوتوغرافية لفتيات على كل طراز . فوقع فى حيرة جديدة : كيف يتخير وأيها يختار؟ وحدثته الخاطبة فيما حدثت عن فتاة تصلح له .. ولكن ـ يا خسارة ! ـ تقدم اليها خاطب طيب ليس من السهل رفضه . تصلح لى ؟ وأين صورتها ؟.. وخيل الى المهندس فى تلك اللحظة أن هذه الفتاة هى امرأته ونصفه وحلمه ، وأن عليه أن يختطفها من منافسه اختطافا . وأين صورتها ؟ فقالت الخاطبة ان

أهلها رفضوا كل الرفض أن يعطوها أية صورة لها ... ولكنها جميلة وأى جمال.. فتشبث المهندس بأذيال الخاطبة وصاح : « لابد من الصورة » . ففكرت مليا ثم نظرت اليه نظرة دهاء ، فمثلها لا يعجز عن الحيلة . لقد لمحت فى بهو الدار صورة الفتاة معلقة على الحائط .. فهى ستذهب اليهم لتخبرهم بأمره.. ثم تغافلهم وتخطف الصورة المعلقة وتأتى بها اليه. نهضت من فورها وذهبت وتركت المهندس فريسة ذلك الاحساس . انها هى . انها هى .. لقد وجدها أخيرا ما سر هذا الشعور ؟ أتراه الغموض الذى يشملها ؟ انه لم يرها وينازعه فيها منذ الآن منازع .. كيف هى ؟ وهل يفوز بها ؟ انه واثق أن صورتها هى صورة المرأة التى يبحث عنها . ولبث يفكر فى ذلك طول مسائه ... وتقدم الليل وأراد أن يأوى الى فراشه ... ولكن النوم استعصى عليه فقام وأضاء المصباح الكهربائى الصغير فوق رأسه ، وتناول كتابا يهدىء من أعصابه الثائرة.. واذا نظره يقع على صفحة تحتوى قصة قديمة لرجل من بلاد السند كان يبحث هو أيضا عن زوجة أحلامه ، فكان بحثا ممضا على غير طائل ، فقال له قائل : «لا تيأس. ابحث عن الزوجة ولو فى الصين» فلم يبطىء الرجل . وركب فى الحال البحر الى بلاد الصين

فكسر المركب به وبمن معه فى وسط البحر. فنجا مع بعض القوم على خشبة من خشب المركب ، ووقعوا فى مكان لا يدرى أى مكان هو،فأقاموا فيه أياما لا يجدون قوتا حتى أشرفوا على الموت ، فقال بعضهم لبعض : « تعالوا نعاهد الله على أنفسنا أن ندع له شيئا فلعله يرحمنا ويخلصنا من هذه الشدة » فقال بعضهم : « أصوم فى كل عام شهرين » ، وقال البعض : « أصلى فى كل ساعة ركعتين » ، وهكذا . الى أن قال كل منهم شيئا والرجل طالب الزوجة ساكت فقالوا له : « قل شيئا ! » ، فحار ولم يجىء على لسانه الا قوله : « لا آكل لحم فيل أبدا ! » ، فصاحوا به : «الهزل فى مثل هذا الحال ؟! » ، فأجابهم : « والله ما تعمدت الهزل، ولكنى منذ بدأتم وأنا أعرض على نفسى شيئا أدعه لله فلا يخطر على بالى غير الذى لفظت به ». ومرت اللحظات بهم ، فقال أحدهم : « لم لا نطوف فى هذه الارض متفرقين بحثا عن القوت ، فمن وجد شيئا أنذر به الباقين ، والموعد هذه الشجرة ؟ » . فتفرقوا فى الطرق ، واذا أحدهم يرجع بعد قليل بولد فيل صغير ، فلوح بعضهم لبعض فاجتمعوا . وأخذوا الفيل الصغير واحتالوا فيه حتى شووه ، وقعدوا يأكلون ، وقالوا للباحث عن الزوجة : « تقدم وكل معنا » ،

فقال : « أنسيتم أنى منذ ساعة تركته لله ؟ انى لن أرجع فى شىء تركته لله أبدا . . . ولو كان فى ذلك موتى جوعا » ، وأكل أصحابه بدونه ، وأقبل الليل فتفرقوا الى مواضعهم التى كانوا فيها يبيتون . وأوى هو الى أصل شجرة كان يبيت عندها ، فلم يكن الا لحظة ، واذا بفيل عظيم قد أقبل وهو ينعر والحلاء كله يندك بنعيره ، وهو يطلب القوم . فقال بعضهم : « قد حضر الأجل » ، فاستسلموا وتشهدوا وأخذوا فى الاستغفار والتسبيح ، وطرحوا أنفسهم على وجوههم ، فجعل الفيل يقصد واحدا واحدا ، فيشمه من أول جسده الى آخره فاذا لم يبق فيه موضع الا شمه ، شال احدى قوائمه فوضعها عليه ففسخه ثم تركه كالعجين ، وقصد آخر ففعل به مثل ما فعل بالأول . . . الى أن لم يبق من القوم غير الباحث عن الزوجة ، وهو جالس منتصب يشاهد ما يجرى ويستغفر ويسبح ويقول : « قاتل الله ذلك الذى نصحنى هذه النصيحة الشؤم ، وأخرجنى من بلادى فى طلب . . » ولم يتم كلامه . . . فان الفيل لم يمهله وقصده للفور . فارتمى الرجل على ظهره مستقبلا الموت ، وجعل الفيل يشمه كما شم أصحابه من قبل ، ثم أعاد شمه مرتين أو أكثر ، ولم يكن فعل ذلك بأحد من الا خرين ، وروح

الرجل فى خلال ذلك تكاد تخرج فزعا..ثم لف خرطومه عليه فشاله فى الهواء ، فظنه الرجل يريد قتله بقتلة أخرى، فجهر بالاستغفار ولكن الفيل رفعه بخرطومه وأجلسه فوق ظهره ، وانطلق به يهرول تارة ، ويتهادى أخرى .. الى أن طلع الفجر واشتد ضوؤه ، فاذا الفيل قد أنزله من ظهره ، وتركه على الارض أمام باب قصر فخم .. ورجع الى الطريق التى جاء منها .. ولبث الرجل فى موضعه لا يعقل ولا يعى من الفزع والجزع .. ولم يثب الى رشده الا وهو داخل القصر .. فانتبه الى نفسه .. فاذا هو فى فراش وثير وثياب جديدة والى جواره فتاة كالبدر هى ابنة صاحب الدار ... طفقت تعنى به وهو ينظر اليها ويهمس قائلا : « أمن الموت الى الحياة .. وأى حياة ! انها هى .. هى ! » نعم كانت هى ضالته التى تجشم من أجلها السفر والبحر والخطر ... فقد تزوجها بعد ذلك وكانت نعم الزوجة والخدين والشريك ...

وانتهى المهندس من مطالعة هذه القصة القديمة ، وهو يقول لنفسه : أم شلبى...هذا الفيل الآدمى..من يدرى .. لعلها هى الاخرى تحملنى غدا الى تلك الأسرة التى أجد فى فتاتها ضالتى !.. وطلع الصبح . وانتصف النهار

.. وجاءت الخاطبة تحمل فى ملاءتها ، صورة فى اطار ، أمسك بها المهندس متلهفا وتفرس فيها مليا .. ثم طفق يقول كالمخاطب لنفسه : « نعم .. لا بأس .. حقيقة انى أردت امرأتى هكذا ! ». وسحبت أم شلبى الصورة من يده برفق ، قائلة له انها ستقع فى الحرج اذا تفقدوا الصورة قبل ردها ... وأن عليها الآن أن تعود بها فورا لتضعها فى مكانها .. وأن ما يجب عليه عمله منذ الساعة وقد راقته الفتاة أن يمضى قدما الى أهلها فيعرض طلبه ، قبل أن يرتبطوا بالخاطب الآخر ، واذا شاء فانها تدبر له موعد المقابلة مع أبيها فى أقرب وقت .. فقال لها : « نعم ، أسرعى ... الخير فيما اختاره الله .. »

لم يمض يوم حتى عادت أم شلبى تلهث وتدعوه الى زيارة والد العروس ، عصر ذلك اليوم ، وتوصيه أن يكون حريصا على الذهاب فى الموعد المحدد بغير ابطاء ولا تأخير ، فان أهل الفتاة رفضوا بادىء الأمر الكلام فى شأن أى خاطب جديد فهم قد رضوا عن الخاطب الاول ، ولم يروا مبررا لترك هذا الباب مفتوحا بعد ذلك ، ولكن الخاطبة بذلت أعظم الجهد فى اقناعهم بمقابلة هذا المهندس الكفء ، فمن يعلم أين النصيب ؟ وما ضرهم أن يأذنوا له فى زيارة قصيرة ، لقد

احتالت وصنعت ما استطاعت لتفتح له ذلك الطريق المغلق، فلم يبق الا أن يصنع هو ما يستطيع ليقنع والد البنت ، وهو شـــيخ وقور متقاعد من رجال الجيش ، دقيق فى نظامه ، صارم فى أحكامه،فقال المهندس للخاطبة : « لا تخافى.فى الساعة الخامسةبالضبط أكون هناك ! ».وقد بر بوعده ، فما أزفت الرابعة والنصف حتى كان قد تهيأ وتجهز وارتدى خير ثيابه ، ووقف أمام المرآة يضعمنديله الحريرى فىجيب الصدر ، وينظر اليه وقد تدلى وتهـدل ، فرأى أن يخفى بعضه ولا يبرز غير طرفه ، اعتـــدالا فى ادعاء الأناقة ، واقتصادا فى ابداء الحيلاء ، ورضى عن مظهره .. فنزل الى الطريق قاصدا بيت العروس ، وسار فى الشارع وكل شىء فيه مبتهج فرح ، وقد غمر الاطمئنان قلبه فبدد حيرته ، لقد انتقى له القدر شريكته ، فلم يبق الا أن يتقبلها منه شاكرا، آه للانسان ! ما أشد عجزه ! هنالك مسائل لا يرتاح الى حلها الا اذا سقط عليه المفتاح من السماء ! وهنالك مواقف يواجه فيها الانســان مفرق طرق ، فلا يسعفه الا دفعة فى ظهره من يد القدر نحو احداها..كانت مثل هذه الخواطر تجول فى ذهن المهندس وهو يواجه مفرق طرق « ميدان سليمان باشا » واذا هو فجأة يحس دفعة فى ظهره شـديدة

قاصمة قد طرحته على الارض ، واذا شيء كالعجلات يمر فوق جسمه .. وكان هذا مبلغ وعيه لكل ما حدث ..

ليس يدرى على التحقيق كم من الزمن مضى عليه وهو فى اغمائه ، لكنه عندما تنبه وجد نفسه على فراش وثير فى سرير مستشفى ، وجسمه كله مغلف بالاربطة الصحية وقد سمع من يهمس حوله قائلا : « لا تتحرك » فحول بصره جهة الصوت ، فرأى طبيبا وممرضا وممرضة فى ثيابهم البيضاء ، وقد علم منهم أنه قد أجريت له عملية « جراحية » وأنه قد كسر له ضلع ، وأنه فى هذا المستشفى منذ أيام ، وأن حالته كانت خطرة بادىء الأمر ، ولكن الخطر زال عنه الآن .. وأنه سائر فى طريق الشفاء . وأراد المريض أن يتكلم وأن يستفسر فمنعه الطبيب من بذل أى حركة أو جهد ... ولم يسمح له الا بالرد المقتضب على أسئلة رجال الضبط الذين جاءوا لسماع أقواله فى الحادث ، وقد أجابهم بأنه لم ير شيئا ... لا السيارة التى صدمته ولا لونها ولا سائقها. فختموا محضر تحقيقهم وانصرفوا عنه ، وتأمل هو حاله لحظة واكتفى بالهمس فى أعماق نفسه :

ـ ضلع مكسور !. هذا كل ما وصلت اليه .. أنا الآن كسر بحق ... دون أن أظفر مع ذلك بالتى تكملنى !

ثم ذكر آخر يوم كان فيه صحيحا .. وكان سائرا الى بيت العروس .. ترى ماذا تم فى هذا الأمر ؟ أترى الفتاة ما برحت من نصيبه ؟ أم أن الخاطب الاول قد سبقه اليها ، بينما هو طريح ، كالجواد الذى سقط فى ميدان السباق ؟ كيف السبيل الى معرفة النتيجة ؟ لو استطاع على الاقل أن يبعث فى طلب « أم شلبى » ليعلم منها ... ولكن ما الحيلة فى هذا الطبيب الذى يمنعه من الكلام والحركة ؟ فليصبر يوما آخر أو يومين .. يا لسوء حظه اذا كان قد فقدها بسبب هذا الحادث ! الويل للجانى الذى صدمه عند ذاك . انه لن يغتفر له أبدا .. لا كسر ضلعه ، بل تلك الطامة الاخرى ، ضياع نصفه الآخر بعد أن عثر عليه ..

وحانت منه التفاتة الى ما حوله ، فوجد ما أدهشه : باقات من الورد والازهار الغالية فى الآنيات ، وقارورات فاخرات من ماء «الكلونيا» ، وكتب مجلدة مذهبة لقتل الوقت ، وصنايق ثمينة مفعمة بالحلوى ومملوءة بالسجاير ... وكل ما يمكن أن يهدى الى مريض معزز مدلل . عجبا !. من هذا الذى يهتم بترفه كل هذا الاهتمام ، ويعنى بشخصه كل هذه العناية ؟! وسأل طبيبه بايماءة من عينه عمن أحضر كل هذه الهدايا .. فلم يزد الطبيب على أن قال سرعة

وبلهجة من يقول شيئا معروفا للجميع :

ـ الست

والتفت الطبيب الى مرءوسيه يصدراليهم الأوامر الاخيرة قبل انصرافه . وغادر الجميع الحجرة من فورهم ، تاركين المريض مستغرقا فى الدهشة : « الست » ! ومن هى هذه « الست » ؟! وعادت الممرضة وفى يدها أنبوبة زجاجية وحقنة ، ملأتها ثم وخزت المريض بابرتها . . فانتظر حتى فرغت من عملها ، فسألها أن تحدثه قليلا عن تلك «الست» . . وكانت الممرضة ثرثارة . . فتدفقت تصفها بأنها أجمل وأكرم سيدة رأتها . . .

وطفقت تخبر المهندس المريض بطائفة من التفاصيل لم تزده الا عجبا واستغرابا ، فهذه « الست » الحسناء تأتى كل يوم لتسأل عن صحته . . وهى فى كل مرة تأتى بالازهار الجميلة ، وتضع النقود فى أيدى ممرضيه بسخاء وترجوهم أن يخصوه بكل عنايتهم ، وأنها كانت فى ساعات الخطر الاولى تسأل عن تطورات حالته فى جوف الليل بالتليفون عدة مرات . . وأنها حضرت « العملية الجراحية » منتظرة فى حجرة مجاورة كى تطمئن على عواقبها . وأنها أصرت على استدعاء « كونسولتو » من الاطباء قبل اجرائها لتزداد

اطمئنانا ... وأنها دفعت نفقات كل ذلك من جيبها بدون تردد .. بل الاعجب أن وجوده فى هذا المستشفى فى هذه الحجرة من الدرجة الاولى الممتازة بكل ما يلزم له من علاج وغذاء ورفاهية وترف هى التى تتولى نفقاته وأن المال يسيل من بين أصابعها كالماء فى هذا المستشفى من أجله .. ولا هم لها ولا تفكير الا فى شىء واحد : «انقاذ حياته بأى ثمن» .. تلك هى كلمتها التى ترددها كل يوم وكلما جاءت .. ولكل من تقابل من أطباء وممرضين .. وختمت الممرضة حديثها قائلة ببساطة :

ـ طبعا .. زوجتك.. طبيعى أنها تهتم بحالتك وتضحى بكل شىء !.. ان شاء الله أبشرها بالاخبار السـارة عن قريب !..

وخرجت من الحجرة مسرعة ، وتركته يقول كالمخبول:

ـ زوجتى !؟..

وجعل يعالج حل هذا اللغز ، الى أن اهتدى الى رأى شبه معقول :

لعل هذه « الست » التى يحسبونها هنا زوجته ليست فى حقيقة الأمر سوى تلك الفتاة « العروس » التى كان ذاهبا لخطبتها . ولعلها علمت بالحادث ، وأثر فى نفسها ما وقع له

وهو فى طريقه اليها . فحملها ذلك التأثر الشديد لهـــذا الاخلاص كله على العناية به . اذا كان ذلك حقا فهى اذن الشريكة المنشودة. نعم ما أكرم نفسها ! وما أسعده بمثلها ! ثم لماذا تتحمل هى نفقات علاجـــه ؟ أتراها اعتبرت نفسها زوجته منذ الآن ، لمجرد أنه كان ذاهبا يطلب يدها ؟.. اذا كان هذا ما وقع فى نفسها ، فانه ليقرها عليه .. فهو أيضا يعدها زوجته من الآن .. بل منذ اللحظة التى سقط فيها تحت السيارة من أجلها ... يا لها من زوجة عزيزة .. ان رسمها فى رأسه الساعة مشوش مختلط .. ولكنه مع ذلك يذكر بعض ملامحها التى شاهدها فى الصورةذات الاطار .. لابد له على أى حال أن يراها سريعا ، ليشكرها على الأقل . وانتظر حتى جاءت الممرضة فقال لها :

ـ أريد أن أرى ... زوجتى ...

فأجابته الممرضة بأنها لم تحضر بعد ، ووعدته بأن تدخلها عليه توا عند حضـــورها . ولبث المريض يعد فى انتظارها الدقائق ثم الســـاعات ، ثم جاءه الليل ، ثم مر يوم وثلاثة وأربعة ... دون أن يسمع من الممرضـــة ســـوى ألفاظ الدهشة والاستغراب. فهى أيضا تعجب لاختفاء هذه السيدة الآن .. بعد أن كانت تجىء المستشفى فى اليوم مرتين ..

ووقع المهندس لا فى الهم والغم وحدهما بل فى الحيرة أيضا والحرج... بماذا يعلل للممرضة وللآخرين هذا التصرف العجيب من زوجته المزعومة ؟. فآثر الصمت أمامهم والاقلاع عن ذكرها . ولكنه ظل الايام يحاول عبثا أن يكشف لنفسه حقيقة هذا السر . الى أن بدرت ذات يوم من الطبيب بادرة أثارت قليلا هذا الأمر . فقد قال له وهو يفحص ضلعه المكسور :

ـ حالتك الآن على ما يرام . تستطيع الآن أن تضطجع على وسادة خلف ظهرك ، وأن تتكلم كما تشاء.. وأن تقرأ هذه الكتب والصحف والمجلات التى ترسلها لك الست..

فصاح المريض كالغريق الذى وجد خشبة :

ـ الست ؟.. أين الست ؟..

فقال الطبيب باسما :

ـ انها الآن مطمئنة غاية الاطمئنان بعد أن أكدت لها منذ أسبوع زوال كل خطر ..

ـ ولكنى ... أعنى ... هل حضرت ؟

ـ لا.. لقد قالت لى فى آخر مرة انها لم تعد ترى ضرورة للحضور ، ما دام الخطر قد زال ... وأنها تكتفى الآن بالسؤال عن الحالة بالتليفون مرة كل يومين أو ثلاثة ...

ـ هل أستطيع أن أكلف أحدا بطلبها بالتليفون ؟

ـ بالتأكيد .. اعط رقم التليفون للممرضة وهى تقوم بذلك فى الحال اذا شئت

ـ رقم تليفون « الست » معروف هنا طبعا ..

ـ لا أظن .. انها هى التى تطلبنا دائما ... ومع ذلك ألا تعرف أنت الرقم ؟..

ـ آه .. طبعا .. طبعا ..

وضحك ضحكة يخفى بها ورطته..وانصرف الطبيب ، وتركه يتخبط فى ظلام أكثف مما كان فيه . من هذه السيدة التى تعطف عليه كل هذا العطف وهو فى الخطر ، فاذا انقشعت غمته وتحسنت حالته ، انصرفت عنه فى غير اكتراث كأنها لا تعرفه ؟! ثم كيف يتصل بها الآن والمسالك دونها موصدة ؟ ونادى الممرضة ورجا منها أن تبحث فى ادارة المستشفى وفى كل مكان عن عنوان « الست » أو رقم تليفونها . موهما اياها أن زوجته هذه تتعمد اخفاء مكانها عنه وتتكلف هذا التصرف معه ، لاسباب خاصة ، لكن الممرضة لم تعثر لهذه السيدة على عنوان معروف ولا على رقم تليفون .. وكل ما يعلمونه عنها فى المستشفى أنها هى التى تحضر وهى التى تستفسر دون أن تترك خلفها أثرا..

ولم يجد المريض آخر الأمر غير وسيلة واحدة .. ماكاد يهتدى اليها حتى صاح فرحا كمن وجد الفرج...والتفت الى الممرضة قائلا :

ـ اسمعى ! .. أرجوك .. اذا سألت عنى « الست » بالتليفون فى المرة القادمة ، فأخبريها أنه قدحدثت لى نكسة، وانى لن أعيش أكثر من ساعتين !

فترددت الممرضة . فأقنعها بورقة مالية دسها فى كفها.. فقبلت المجازفة بهذه الاكذوبة لوقت محدود.ومضى يومان .. واذا الممرضة تدخل على المهندس مهرولة لاهثة وهى تقول :

ـ تكلمت ..

ـ صحيح ؟.. تكلمت ؟..

قالها وقد كاد قلبه يثب من جوفه . فأكدت له الممرضة أن « الست » تكلمت الساعة بالتليفون لتستفسر ، فأجابتها بالرد المتفق عليه ، فذعرت وألقت بالسماعة ، وهى قادمة بعد دقيقتين . فلم يدر المريض ما يصنع من الفرح .. ومد يده على غير وعى منه يلتمس زجاجة عطر الكلونيا ليتطيب ... وهو يوصى الممرضة أن تدخلها عليه للفور ، وأن لا تنسى أنه يحتضر...وخرجت الممرضة تستقبل القادمة.

ولم يمض قليل حتى سمع المريض صوت المرأتين يقترب .. فأغلق عينيه نصف اغلاق ، واستلقى بلا حراك ومثل دور من يموت ... ودخلت « زوجته » المزعومة وتسمرت بالعتبة تنظر اليه شاحبة الوجه .. فكاد ممثل الموت يموت حقا .. من هذه المرأة ؟ انها ليست صاحبة الصورة التى فى الاطار !.. هو الذى وطن النفس وأعد الذهن لرؤية امرأة يعرفها .. أو يعرف رسمها على الاقل ؟ ها هو ذا أمام امرأة جديدة لم يرها قط فى حياته ، ولا يدرى عنها شيئا ... وانهار كل ما كان قد بناه فى لحظة . فليست هذه المرأة بالعروس التى كان ذاهبا لخطبتها ... وليست هذه العناية وهذا الاهتمام وليد تلك الاسباب التى كان قد رتبها واستنبطها واستنتجها ... هذه امرأة غريبة عليه وعلى ذهنه وفكره ... لم يرها من غير شك فى الماضى ، ولم يصادفها فى حقيقة أو خيال .. فمن تكون ؟ ومن أين طلعت له ؟ وما سر عنايتها به ولهفتها عليه .. وقلقها فى ساعات أزماته .. وتكلفها جميع نفقاته ؟. هذا هو اللغز الذى فاق جميع ما عداه . ولكن هذه المرأة التى لم يعرفها ولم يرها .. ما أجملها !.. انه تخيل فعلا يوما ما نوعا من الجمال تمناه فى امرأته ... ولكنه لم يستطع تخيل حسن كهذا .. انه

لكثير عليه هذا الجمال .. ثم ما أروع وجهها فى هـذا الشحوب. لقد شحب وجهها هكذا حزنا عليه .. أهو فى يقظة حقا ؟.. ثم ما هذا الذى يرى .. يا للعجب !. انها دمعة فضية تترقرق فى عينيها الواسعتين كأنها قطرة ندى.. ولم تتحمل الحسناء ألمها ـ فيما يبـدو ـ أكثر من ذلك . فاندفعت خارجة من الحجرة ، وهى تمسح دمعتها بأناملها القرمزية الاصداف ، والممرضة فى أثرها .. ولم يبـد المريض حركة ولم يلفظ همسة فقد أذهله ما رأى عن كل شىء ... ولم يثب الى رشده ، وتستيقظ له ارادة ، الا بعد أن عادت اليه الممرضة وحدها راجية ملحة فى الرجاء أن يكف عن هذه الاكذوبة ، وأن يسمح لها أن تخبر الحسناء بالحقيقة ، قبل أن تتحرج الامور ، ويبلغ ادارة المستشفى الأمر ، فتتعرض هى للمؤاخذة ، ذلك أن « الست » تصر على استشارة الاطباء ، وبذل كل عطاء لانقاذه من الموت ، ولم تنتظر الممرضة رأيه أو جوابه .. وأقبلت عليه تعينه على الاستواء قليلا...وتضع الوسادة خلف ظهره ، وجذبت احدى المجلات المصورة ودفعت بها اليه ، وأعلنته أنها ذاهبة تخبر « الست » بالحقيقة ، وتعود بها لتراه وهو فى حالته الحقيقية ... وخرجت عنـه وهو مضطجع كالطفل الذى

لا ارادة له ولا عزم ... المتقبل كل ما يجرى له ويفرض عليه ... وأخذ يعبث بصفحات المجلة المصورة بعين زائغة وفكر شارد ... واذا بصره على الرغم منه يقع على صورة يعرفها .. عجبا !.. انها صورة للعروس التى رأى رسمها فى الاطار..نعم .. هى بعينها فى ثياب العرس البيضاء والى جانبها شاب فى ثياب السهرة « الفراك » وتحت الصورة عبارة « قران بهيج » ... لقد زفت اذن الى خاطبها الاول ... حسنا فعلت ، انه لا يأسف الآن عليها كثيرا ... وأرسل بصره الى الباب نافد الصبر .. معلق الانفاس .. واذا الممرضة تدخل وهى تجذب الحسناء جذبا رفيقا الى داخل الحجرة ، وقدمت اليها مقعدا بجوار السرير ، وانصرفت فى الحال . ومر كل ذلك مرا خاطفا ، فلم يشعر المهندس بالحسناء الا وهما منفردان وجها لوجه ، ولم يكن من اليسير أن يجد أحدهما الكلام الذى يبدأ به ... فوقعا أول الأمر فى صمت عميق محرج ... قطعته الجميلة قائلة ، وكأنما تتنفس الصعداء :

ـ أف !. الحمد لله على انك بخير ! لقد كاد يغمى على الساعة عندما حسبتك تموت !...

فرنا اليها والى فمها وهى تنطق هذه الكلمات ، وكأنه

لا يصدق أن هذا القول موجه اليه . ثم تمالك قليلا وقال لها :

ـ حياتى شىء مهم عندك ؟

ـ جدا

ـ لا يوجد غير تعليل واحد لكل هذا ، انى مت حقيقة وانتقلت الى جنة الخلد ، وما أنت الا حورية مكلفة بملاطفتى .. ولكن ... أين الشجر والثمر والكوثر .. ولماذا هذا السرير والممرضة والمستشفى !!

ـ لا .. أنت من حسن الحظ حى ... لانك لو كنت مت ودخلت جنة الخلد ، كنت أنا دخلت السجن

ـ السجن ؟ وما المناسبة ؟!

ـ آن الأوان أن أعترف لك يا سيدى بجريمتى . أنا التى صدمتك بسيارتى . وانى بالطبع متأسفة جدا . ولكنه القدر ... أقوى منا ومن ارادتنا وتدبيرنا . كنت مسرعة وهذا خطأ منى ولا شك .. ولكنى كنت مدفوعة برغبتى فى شراء ثوب حريرى رأيته فى الصباح، وخفت أن تسبقنى الى شرائه أخرى . وعندما مرت العجلات على جسدك .. لم أقف ومضيت فى السير بعين السرعة .. لا عن قسوة منى

ونقص فى المروءة... بل عن خوف شديد استحوذ على.. لقد هربت من جسدك الملقى على الارض كمن يهرب من شبح .. وعدت توا الى بيتنا غائبة العقل . ورأتنى والدتى فهالها اضطرابى ، وقصصت عليها ما حدث ، فنصحتنى أن أخبر والدى بكل شىء . وهو من رجال القضاء. فلما سمع والدى القصة حار هو الآخر فيما ينبغى عمله . فان التبليغ عن هذا الحادث معناه التعرض للحكم اذا مات المصاب ، كما قال لى ، واذا لم نبلغ فاننا نتحمل تقريع الضمير طول حياتنا، وان كرامته كقاض تمنعه من أن ينصح أحدا ولو كان ابنته بالهرب من العدالة ... وان حنانه كأب يمنعه كذلك من أن يدفع بابنته الوحيدة الى السجن .. وانتهى به التفكير الى أن ترك لى حرية التصرف.. بعد أن أفهمنى كل النتائج المحتملة لهذا الفعل .. وجعل يعنفنى على جنونى فى سرعة القيادة .. ونصحنى أخيرا أن أتتبع حال المصاب على الاقل وأن أعمل على علاجه وانقاذه .. فانه اذا شفى لن يقع على من العقاب أكثر من غرامة مالية ولهذا بادرت أسأل أقسام البوليس عن المصاب فى حادث السيارة عصر ذلك اليوم فى ميدان سليمان باشا ... الى أن اهتديت اليك

وأصغى المهندس الى حديثها ، وكأنه يهبط رويدا رويدا

من السحاب حتى لاصق التراب . وما فرغت روايتها .. حتى نظر اليها قائلا :

ـ يا لك من مجرمة أثيمة ! .. كسرت ضلعى ،وأضعت خطيبتى ، وبددت أحلامى !.وكل هذا لن تعاقبى عليه بأكثر من غرامة مالية !.

ـ لأنك شفيت والحمد لله !

ـ أنا شفيت ! وما قيمة شفائى ؟ ان موتى الآن خير من حياتى ... أكل هذا العطف الذى نلته منك .. وهـذه الدمعة التى سقطت من عينيك ، وهـذا الشحوب الذى بدا عليك لم يكن من أجلى ولا خوفا على ، بل خوفا على نفسك من الحبس ؟!. اسمعى أيتها الآنسة .. أو الست .. أو الزوجة المزعومة ..

ـ الزوجة ؟

ـ طبعا .. وماذا تريدين أن يكون ظنهم هنا بسيدة مثلك تعنى هذه العناية برجل مثلى ؟ لقد خطر فى بالهم بالضرورة أنك زوجتى ، ولم يخطر فى بالهم أنك قاتلتى !

ـ لا تقل انى قاتلتك .. فها أنت ذا الآن فى صحة جيدة

ـ كم كنت أتمنى أن أموت لتدخلى أنت الحبس ..

ـ الى هذا الحد تبغضنى ؟

ـ هل أبلغت الحكومة أنك أنت الجانية ؟

ـ لم أبلغ بعد . .لقد رأيت أن أنتظر حتى تشفى ..

ـ واذا كنت مت ؟

ـ كنت ذهبت وقدمت نفسى للبوليس

ـ أأنت واثقة أن القضـــاء كان يحكم بحبسك فى حالة وفاتى من الحادث ؟

ـ كان ذلك مرجحا لانى من أرباب السوابق

ـ أنت ؟ من أرباب السوابق ؟!

ـ نعم .. فى حوادث السيارات .. سبق لى أن صدمت حمارا محملا بالحطب فى طريق عزبتنا فى صيف العـــام الماضى ، ومنذ ستة أشهر صدمت حمارا آخر يحمل قصبا فى سكة الهرم

ـ حضرتك اخصائية فى صدم الحمير ؟!

فنظرت اليه وهو مغلف فى أربطته الصحية. .وضحكت ولم يفطن هو الى « النكتة » ومضى يقول :

ـ أيتها الجانية .. أنا بصفتى المجنى عليه ، لابد أن يسمع رأيى فى جريمتك . هل تريدين حكمى أو حكم المحكمة؟

ـ حكمك

ـ حكمت عليك بالحبس

ـ تريد حبسى ؟!

ـ فى أحضان الزوجية

فنظرت اليه وابتسمت ابتسامة المحكوم عليه الذى رضى بالحكم ولن يستأنفه أو يناقض فيه

▭

مضى عام على زواجهما ، فأدرك المهندس أن « القدر » حقا قد عرف كيف يهديه الى « طبقه » وشطره ونصفه وزوجته المثلى .. وقد آمن أن للقدر من الوسائل أحيانا ما لا يخطر على بال البشر .. وهل كان مثله يتصور أنه سيلقى شريكته يوما بهذه الطريقة ؟! ان كلمة « النصيب » التى يذكرها الناس دائما فى بساطة ليست الا مظهرا من مظاهر فن « القدر » العجيب فى تدبير مصائر الآدميين ..

واحتفلا فى المساء بمرور العام على ذلك الزواج ، فهمس فى أذن زوجته قائلا :

ـ كان لابد لحواء أن تأخذ من آدم ضلعا حتى توجد ، وكان لابد لك من أن تكسرى لى ضلعا حتى أجدك !.

كليوباترة وماك

من أسرار الحرب الاخيرة التى لم يكشف بعد عنها النقاب ما أرويه الآن . وما من صحيفة فى العالم نشرت هـذه القصة الغريبة ، التى قد تصدم منطق الانسـان فى القرن العشرين . ولكن هذا لا يمنع من أنها وقعت بالفعل . وأرجو أن لا يسائلنى سائل عن مصدر علمى بها . فهذا ما أقسمت أن لا أبوح به لأحد

كان ذلك فى عام ١٩٤٤ ، فى جزيرة ما بالمحيط الباسيفيكى اتخذها الجنرال « ماك أرثر » مقرا لقيادته فى حربه ضـد اليابان بعد أن اضطر الى الجلاء عن الفلبين . .

كان المساء جميلا . والشفق ما زال يدمى على صفحة سماء بيضاء كرداء العروس ، والنسيم يهب رقيقا من البحر الهادىء النائم . . .

وكان « ماك أرثر » جالسا فى شرفة مقره بمفرده ، وقد غرق فى مقعد من القماش كمقاعد الشواطىء ، وأرسـل رأسه الى الوراء على المسند وراح فى شبه اغفاءة . . تحت وقر التعب والاجهاد ، وثقل الأعباء والتبعات . .

لم ينم طويلا . فقد استيقظ فجأة على صوت مجاديف تمس الماء كما يمس المرود الجفن ، وموسيقى تحملها الريح ، وعطور تتضوع فى الهواء .. ففتح عينيه ، فاذا هو أمام منظر عجيب : سفينة من سفن العصور القديمة ، تتهادى فوق الامواج مقتربة .. مؤخرتها من الذهب ، وشراعها من الارجوان ، ومجاديفها من الفضة ، تتحرك على نغم المزامير ... وفى مقصورتها امرأة مستلقية على الحرير كأنها الهة ، يحرق بين يديها بخور وينتشر عبير ، يلعب بالرؤوس ويسحر النفوس ...

نزلت تلك المرأة من السفينة ، ومشت وكأنها تخطر فى الهواء .. نحو مركز القيادة ، وهى تقول :

ـ « مارك أنطونى » !

ففرك الجنرال الامريكى عينيه وهو يقول :

ـ أنا « ماك أرثر » !

ـ نعم ، أقصد « ماك أرثر » .. اليك جئت ، وأنت الذى أريد ...

ـ من أنت ؟

ـ أنا كليوباترا

ففحصها القائد بنظره مليـــا ... وتأمل ثيابها ودمقسها ودماجها ولآلئها .. ثم التفت الى سفينتها العجيبة ، وهز رأسه باسما وقال :

ـ فهمت ، فهمت . انما الذى أعجـــب له هو : كيف استطاعت هوليوود أن تعمل فى هذه المنطقة الحربية بدون علمى ؟ وكيف حصلت على اذن فى ارتياد هذه المياه الممنوعة لاخراج الافلام التاريخية ؟ وما هى السلطات المختصة التى يمكن أن تتحمل هذه المسئولية دون الالتجاء الى رأيى ؟! هذه مسألة خطيرة يا سيدتى ، لا يحسن الاغضاء عنها ...

ونهض ، وعلى محياه جد وصرامة .. وأراد دخـــول مكتبه ليتحرى الأمر فاعترضته الزائرة العظيمة ، ووقفت بجلالها الملكى ، وقالت بصوتها الملائكى :

ـ قلت لك أنا كليوباترا ، ملـكة مصر . جئت اليك من العالم الآخر . ولعلها أول مرة يحدث فيها ذلك ، منذ عرف الناس الحياة وعرفوا الموت . ان عصركم اليوم عصر تقـع فيه أعاجيب ، ولكن الاعجوبة الكبرى هى تمكنى من العودة الى الدنيا .. كيف تمكنت ؟ هذا ما لا شأن لك ولا لى به . وأنا لم أحضر لأطلعك على أسرار الموت والحياة . ولكنى أريد أن تصدقنى .. فلأقل لك اذن ببساطة كيف تم هذا ،

بطريقتكم ولغتكم التى تفهمونها : اننا بعد موتنا نتلاشى روحا وجسدا كذرات فى الفضاء ... على أن المتعذر دائما هو جمع هذه الذرات ، من الكون ، مرة أخرى فى عين الجسد وعين الروح . لقد استطعتم بجهاز الراديو أن تجمعوا من الفضاء أصواتا وتنقلوا صورا ... ولكن أين للموتى ذلك الجهاز الذى يجمع ذراتهم المتناثرة ، فى كيانهم القديم وصورهم الغابرة ؟ لابد أن توجد قوة هائلة تجذب هذه الذرات وتجمعها . لقد حدثت هذه المعجزة فيما يختص بى .. لقد كنت أنت هذا الجهاز ، أو هذه القوة التى جذبتنى ، بدون أن تشعر أنت أو تعى ، انك لا تدرك أى شبه بينك وبين حبيبى السابق « مارك أنطونى » !

قالت ذلك ، و « ماك أرثر » يصغى اليها مشدوها . لكأن ارادته قد فارقته .. يدرك هذا من قرأ « بلوتارك » المؤرخ اليونانى حين وصف كليوباترا .. انها ، على حد قوله ، لم تكن فى الجمال بالغة ما لم يبلغه غيرها من الجميلات ، ملاحة وجهها لم تكن وحدها مبعث فتنتها التاريخية ، انما هو حديثها الذى كان ينفذ فى القلوب كالشوكة . كان صوتها هو العذوبة ، ولسانها قيثارة متعددة الأوتار . تعالجها برشاقة وتمسها بلباقة ، فى مختلف اللغات واللهجات . ان مقاومة

سحر حديث كليوباترا كان هو المستحيل ..

وهمس القائد الامريكى كالمخاطب نفسه :

ـ مارك أنطونى !

ـ نعم .. ما أعجب الشبه بينك وبينه ! فى وجهه وأنفه وقوامه .. ومشيته ! بل ما أشبه دولتك بدولته .. لقد كان الرومان فاتحى العالم بالسيف ، واليوم الامريكان هم فاتحو العالم بالدولار. كان للرومان مجلس شيوخ و «قيصر» .. وللامريكان مجلس شيوخ و « روزفلت » ..

من اللغو أن نطيل ... فمن البديهى أن نقول : ان « ماك أرثر » وقع فى حب « كليوباترا » .. وهل دنا منها أحد دون أن يسقط فى أتون غرامها ؟ ومنذ ذلك المساء وهما لا يفترقان . كانت معه كما كانت مع « مارك أنطونى » فى أول حبهما. لقد قيل انها والقائد الرومانى كانا متلازمين الليل والنهار . كانا معا يهيمان فى الطرقات أحيانا يمرحان ويلهوان ... هى متخفية فى زى وصيفة وهو فى زى وصيف .. أما اليوم فانها تلازم القائد الامريكى فى زى « ضابطة » من المجندات ، وقد ألحقت بمكتبه . وهو وضع

طبيعى..وهل يثير التفات أحد أن يكون للجنرال الامريكى « سكرتيرة » مجندة فى ردائها العسكرى ؟

لم يكن شىء يعكر صفو حبهما غير شبح..هو دائما عين الشبح : الزوجة

فيما مضى كانت هى « فولفيا » زوجة « مارك أنطونى » التى هجرها فى ايطاليا . واليـــوم هى مسز « ماك أرثر » التى تركها فى أمريكا ..

يا له حقا من تشابه عجيب !

كلاهما زوج وأب ، بعيـد عن بلاده . وكلاهما يحزن كليوباترا ويزعجهاكلما فكر فىالعودة الى امرأته وأولاده. ولم تلبث مخاوفها أن تحققت.فها هى ذى المعركةالانتخابية تقوم فى أمريكا لاختيار « الرئيس » ورشـح « روزفلت » للمرة الرابعة . ولكن نفرا قاموا من جهة أخرى يرشحون أمامه « ماك أرثر »

هنا نهضت «كليوباترا » تدرأ عن حبها الخطر ، فاستعانت بقوة سحرها ونفاذ فتنتها لتصرف « القائد الامريكى » عن هذه الفكرة ، كما صرفت من قبـل « القائد الرومانى » عن الذهاب لمحاربة قيصر ..

لعل هذا هو السر الحقيقى فى انسحاب « ماك أرثر » من معركة الانتخابات الامريكية !

وهكذا ظفرت « كليوباترا » باستبقاء حبيبها الى جانبها وأقصته عن زوجته ووطنه وذويه . .

على أنها كانت هذه المرة ذات فأل حسن وأثر طيب على القائد الامريكى. فقد حفزه قربها وألهبه ، فتوالت انتصاراته. وصار يثب من جزيرة الى جزيرة خلف اليابانيين. يطردهم منها ويستولى عليها. وهو لا يرهب شيئا الا أن يبدو مندحرا أمام « كليوباترا ». . حتى تم له الفوز الاخير . واستسلمت اليابان . . ودخل « ماك أرثر » طوكيو دخول الفاتحين. .

ومرت أيام لم ير القائد أجمل منها . وفى ذات عصر ، وقفت « كليوباترا » بجواره وأرسلت بصرها الى البحر ، وقالت :

ـ أتدرى يا « مارك » . . أقصد يا « ماك » . . ما الذى يجول فى خاطرى ؟

ـ ماذا يا « كليو » ؟

ـ أتذكر يوم جئت اليك تحملنى تلك السفينة الجميلة ؟ لقد كانت هى عين السفينة التى ذهبت فيها الى « مارك » فى « طوروس » وقد استدعانى لأقدم حسابا عما نسبوه الى من

معاونتى لأعدائه . ولقد أحب أحدنا الآخر بعدئذ . ولكن برغم ذلك .. أى اذلال وهوان أن يستدعى رأس متوج ليمثل أمام قائد منتصر !

ما قولك يا « ماك » لو استدعيت امبراطور اليابان ليمثل بين يديك ؟

فأجفل « ماك أرثر » قليلا لهذه الفكرة .. انه لا يجهل خطورة الاقدام على هذا العمل الجرىء . ان « الميكادو » شبه اله فى قومه ..

ونظر الى حبيبته مترددا متوجسا .. ولكنها استقبلت عينيه بنظرة منها أسكرته . فأحس قوة تدب فى قلبه دبيب الخمر .. وقال :

ـ سأفعل !. سأفعل يا كليو !

ولم تمض أيام حتى كان الامبراطور بقبعته العالية الرسمية السوداء ، ماثلا أمام « ماك أرثر » فى مقر قيادته وهو بقميصه الكاكى ..

واهتز العالم لهذا الحادث !

واستمرت بعد ذلك اللحظات السعيدة ، يرتع فى ظلها الحبيبان ، ويضحكان ويلعبان ..

وخرجا ذات يوم للصيد فى خليج طوكيـــو .. وكاد النهار يولى و « مالك أرثر » لم يظفر بسمكة . وخجل من الهزيمة أمام حبيبته العظيمة،فغافلها واتفق مع أحدالصيادين الحاضرين ، على أن يغوص فى الماء ويضع فى سنارته سمكة من صيده الطازج ، ونفذ الاتفاق ، وجذب القائد سنارته ، فاذا بها سمكةكبيرة ، أراها لحبيبته مزهوا..ولكن كليوباترا لم تكن بالغافلة..وأعدت للغد عدتها . واتفقت هىالاخرى مع الصياد سرا .. فلما جاء الغد ، وضـع « مالك » سنارته فى الماء الى أن شعر بثقلها فجذبها..واذا بها : سردينةكبيرة مملحة مما يباع فى صناديق البقالين ..

ارتفعت عندئذ قهقهة الحاضرين . وكاد القائد الامريكى يغضب ، لولا قول كليوباترا البارع اللبق :

ـ أيها القائد الظافر !.. مالك وصيد السمك ؟ اتركه لنا نحنالعاديين والعاديات !..أما أنتفصيدك الجزر والمدن والملوك والامبراطوريات ! ..

ما من اكليل غار يعدل هذا الاطراء من فم «كليوباترا »!

عند ذاك ألقى « مالك » بعصا صيده ، وأقبل عليها وقلبـه يقطر حبا ، وهو يهمس :

ـ يا عزيزتى كليو !

▭

لكن الحب شديد النهم .. انه يأكل كل شىء حتى نفسه انه لا يقنع أبدا . ولا يعرف نهاية ولا حدا . لقد جعل « ماك أرثر » همه الاكبر بعدئذ مطالعة كتب المؤرخين ، اليونان واللاتين ، الذين كتبوا عن كليوباترا . وخرج من هذه القراءة بقلب نهشته الغيرة .. لقد تبين له أن أكثر كلمات حبيبته التى تناجيه بها وتخلب لبه ، سبق أن قالتها بنصها ولفظها لمارك أنطونى !

ودخلت « كليوباترا » عليه يوما ، فأبصرت فى يده كتاب « بلوتارك » مفتوحا على فصل يصف أخبارها . ففهمت لساعتها ما يجيش فى صدر حبيبها المقطب الجبين ، فابتدرته قائلة :

ـ أرجوك أن لا تصدق ما يهرف به هؤلاء المؤرخون !

ـ كيف لا أصدق والعبارات التى أوردوها هى عين عباراتك التى أسمعها اليوم من شفتيك ؟

ـ اسمع يا مارك . . .

ـ من فضلك .. أنا اسمى ماك .. ماك.. الى متى تظلين تخلطين بينى وبين الآخر ؟

ـ ثق أنى لا أخلط.. وانما لسانى يغلط .. هذا طبيعى أولا تريد للسانى أن يخطىء وهو الذى تعود ذلك الاسم منذ عشرين قرنا ؟!

ـ اياك بعد الآن أن تمزجى بيننا . تذكرى دائما انك رأيته مندحرا . أما أنا فانك رأيتنى منتصرا

ـ نعم .. لقد كان حبى له شؤما عليه . أما حبى لك ، فكما ترى ، سعيد الطالع .. ولولاى لما انتصرت .. يجدر بك أنت أن تذكر دائما أنى عدت الى الحياة من أجلك . هذا ما لم يحدث لبشر غيرك !.

سكن عندئذ ثائر القائد الامريكى واستقرت نفسه . ومضت أيام وهو هادىء مطمئن راض عن حبه . ولكن الحب لا يرضى ولا يطمئن. لانه اذا فعل ذلك نام، وهو كالقلب اذا نام مات ...

ورنت فى رأس « ماك أرثر » عبارتها الاخيرة : « هذا ما لم يحدث لبشر غيرك » ! فردد مخاطبا نفسه ذات ليلة :

ـ حقيقة .. هذا ما لم يحدث من قبل .. هذا هو المجد الذى لم يبلغه بشر .. كليوباترا تعود الى الحياة من أجلى !.

ولكن من يعلم ذلك حتى الآن ؟.. لا أحد سواى ... وما قيمة ذلك اذن ؟ ترى ماذا يحدث لو أذيع هذا الخبر العجيب ، ونشر فى صحف الدنيا : « كليوباترا بعثت لمالك أرثر » !!

تلك هى المعجزة التى تتضاءل بالقياس اليها ألف أعجوبة مثل القنبلة الذرية !.

وتملكته هذه الفكرة واستحوذت عليه الليالى الطوال . لابد أن يكشف أمر كليوباترا للعالم المتحضر..ولم يتمالك ففاتحها برغبته قائلا :

ـ اسمعى يا كليو !..

ـ انى مصغية يا مالك ..

ـ أخبرينى .. هل فكرت فى المستقبل .. أعنى فى مستقبلك ؟

ـ مستقبلى ؟!

ـ نعم .. أتظلين هكذا دائما ضابطة مجندة فى غمار المجندات لا يدرى بك أحد ؟ أنت أجمل وأشهر ملكات التاريخ تهبطين الدنيا ، ولا تشعر بك الدنيا ؟ تصورى ، لو أذيع أمر وجودك ، أى أقواس نصر تقام لك فى كل مكان،

وأنا بجوارك فخور بك .. انهم فى أمريكا يحسدون من يقترن باحدى النبيلات ، فماذا هم قائلون يوم يرون « مالك أرثر » وفى ذراعه « كليوباترا » أبهى الملكات وألمع المتوجات !..

ـ أيها الامريكى ، أهذا هو الذى يشغل بالك الآن ؟. أهذا هو مصير حبنا ؟ تريد أن تستخدمه أداة اعلان ؟

ـ بل أريد أن يكرمك هذا العصر

ـ يكرمنى ؟ أتدرى كيف سيكون تكريمى ؟ انى أعرف ما ينتظرنى فى بلدك. سأكون ملهاة للسياح، يأتون لمشاهدتى من أطراف الارض، ومادة للصحفيين والمراسلين لا تنضب، وموضوعا للنساء فى الصالونات والحفلات والمسارح والسباق يثرن الاشاعات حولى، وينهشن بألسنتهن لحمى ، ويتضاحكن ويتغامزن قائلات : « أهذه هى التى قال التاريخ انها فتنت القواد والقياصرة ؟ ماذا فيها من حسن وسحر واغراء يثير الرجال ؟! »

ـ بل ثقى أنك ستكونين أعظم امرأة فى زماننا هذا

ـ أعظم امرأة ثروة . هذا محتمل جدا وجائز جدا .. فان شركات الأزياء الكبرى فى أمريكا ستتزاحم

عارضة على أبهظ الاجور لأروج لها أثوابها . وشركات الزينة والجوارب ، والعطور ، والصابون ، وكبار الحلاقين ودور النشر ، والمصورين ورجال الصناعة والمال والاعمال ..الخ.ولا تنس شركات هوليوود السينمائية..فمن المؤكد أنها ستتهافت طالبة الى القيام بدور « كليوباترا » فى نظير مبلغ لم يدفع قط لانسان ، وقل مثل ذلك عن مسارح برودواى الشهيرة ، ومن يدرى ما ستعرض على أيضا من عمل ومن مال ...

ـ طبيعى جدا أن يكون لك مال كثير وثروة ضخمة ، لتقتنى الجواهر والنفائس ، وتملكى فى كل قارة أكثر من قصر وفى كل بحر أكثر من يخت وتعيشى حياة الترف الخليقة بك وباسمك العظيم !..

ـ اسمى العظيم..حقا سيكون كذلك ، يوم أراه منقوشا بتوقيعى الكريم ، على كل علبة بودرة وكل زجاجة كلونيا وأحمر شفاه ، وصبغة أظافر ..! هذا هو عصرك وبلدك .. وهذا هو حبك . وهذا هو كل مستقبلى !..

وقامت غاضبة ، وفى عينيها دمعة ، أخفتها بأصبعها ، وانصرفت مسرعة ، فنهض « ماك » خلفها وهو يصيح بها :

ـ كليو ... كليو ... انى أمزح

ـ لا .. أنت لا تمزح . انى أقرأ ما فى أعماق نفسك انك لن تستطيع طويلا أن تقنع بحبى لك فى زى ضابطة . أنت تريد أن أحبك أمام الدنيا فى ثياب « كليوباترا » وان صبرت اليوم فلن تصبر غدا .. انى أعرف غروركم !

ـ لن أقدم أبدا على أمر يغضبك

وبرق عندئذ فى رأسها خاطر ، فقالت :

ـ ومع ذلك .. فقد فاتنا شىء خطير . ليس فى مقدورك أن تكشف أمرى .. ان ذلك يعرضك لكارثة :

هب أنك أقدمت وأعلنت حقيقتى للناس . أتعلم ما الذى يحدث ؟

ـ ماذا ؟

ـ يحدث لك ما حدث لكل من أعلن مثل هذا الأمر من قبلك : لن يصدقك الناس . فاذا أصررت وماريت وجادلت قادوك بكل بساطة الى مستشفى المجاذيب

ـ ماذا تقولين ؟

ـ أقول الحقيقة . لقد كذبت عليك يوم قلت ان ظهورى لك لم يحدث مثله من قبل لبشر . الواقع أن كثيرين من

الموتى يظهرون للأحياء . وأن كثيرين من الاحياء يعيشون ويختلطون بالموتى . ان الحاجز بين العالمين غير موجود . انه حاجز وهمى ، هو العقل الذى يسدل ذلك الستار بين هذين العالمين. ولكن من الناس من يخرج أحيانا على سلطان العقل ، فيرفع فى الحال الستر لنفوسهم ويبصرون ما وراءه ويمتزجون بمن خلفه . فاذا احتفظوا بهذا السر لأنفسهم سلموا .. أما اذا باحوا به فقد اتهموا بالجنون .. ثق أن كثيرين قد ظهـــرت لهم « حتشبســـوت » و « نفرتيتى » و « سميراميس » كما ظهرت أنا لك ... وعاشوا متحابين آمنين ما بقى السر مكتوما. أما الذين فقدوا ضبط أعصابهم فأعلنوا ذلك للنـــاس ، فهم أولئك الذين تراهم يعمرون مصحات الامراض العصبية والعقلية

ـ ما أظلم الناس !..

ـ بل ما أظلم العقل !.. هو الحاكم المسيطر فى حياة البشر ، الذى يحجب عنهم نصف الوجـــود ، فمن جرؤ ونزعه ليرى خارجه .. لم يقل الناس انه تحرر ، بل قالوا انه مرض .. ذلك أن هذا الحاكم الجبار ككل طاغيـــة ، لا يسمى الخارج عليه متحررا ، بل يسميه مريضا يستحق العلاج والحبس ..

ـ من حسن الحظ أن أمريكا بلد الحرية ، ونحن فيها نكره الطغاة والمسيطرين .. وانك سترين للحرية تمثالا عظيما عند مدخل نيويورك .. فاطمئني ياكليو ، ولا تخافي شيئا ..

ـ حقا انها لحرية فى تمثال ، ولا أكثر من تمثال !. ستبوح للناس اذن ؟..

ـ لا . لا .. لم أقل ذلك

ـ أرى فى عينيك ..

ـ اذا وافقت أنت . ومن يدرى ؟ قد توافقين يوما ...

ـ سترى اذن ما أصنع ..

▭

مرت أسابيع .. واذا صحفى ذو شأن يأتى من نيويورك ليجرى حديثا مع « ماك أرثر » ..

وطالعت « كليوباترا » فى وجه القائد الامريكى ما رابها وأثار قلقها .. وأدركت أنه قد لا يستشيرها ، ورجحت أن لسانه سينطلق.. وأنه قد يضعها أمام الأمر الواقع وجها لوجه .. ويقدمها للصحفى قائلا :

ـ « الملكة كليوباترا » أو « مسز كليوباترا » !.

لم تطق هذه الفكرة .. وأسرعت من فورها تبحث عن ثعبان ...

لقد جربت الموت من عضته . انه لا يحدث تشنجا ولا تمزقا بل يغرق الانسان فى شبه نعاس هادىء يتمنى من يقع فيه أن لا يصحو منه .. الى أن تضعف حواسه ويموت موتا لذيذا ..

غير أنها ذكرت وقتئذ أن « الاسبيرين » يحدث اليوم عين الأثر ... فاضطجعت على فراشها وهى بملابس الضابطة .. وابتلعت أنبوبتين ...

وعلم « ماك » بالحادث .. فدخل عليها مسرعا ، فوجدها فى النزع الاخير . وانحنى عليها متفجعا ، وهمس فى أذنها:

ـ كليو .. كليو .. ماذا صنعت ؟!

فقالت وهى تحتضر :

ـ هل أخبرت الصحفى ؟

ـ كلا يا كليو

ـ ماك .. احفظ سرى فى قلبك وحده !.

وأسلمت الروح .. للمرة الثانية .. وربما للمرة الثالثة أو العاشرة .. أو المائة .. لا أحد يدرى ...

ظل هذا السر مكتوما بالفعل زمنا.. الى أن مرض « ماك أرثر » بحمى خفيفة ، فجعل يهـــذى فى الليل ، ويقول للممرضة القائمة على فراشه :

ـ كليو .. كليو .. هل عدت الى الحياة مرة أخرى من أجلى ؟!

وحار جميع من حوله فى أمر « كليو » هذه .. فهم لم يسمعوا « الجنرال » يلفظ هذا الاسم أمامهم من قبل ...

وتساءلوا من تكون ؟ أتراها تلك الضابطة «مسز كليتون» سكرتيرته التى أمضها الأرق،فماتت منتحرة بالاسبيرين ؟!

هكذا قال من أخذ الأمور بظواهرها .. أما الحقيقة التى لم تنشر حتى الآن ، فهى التى رويت هنا بحذافيرها. ولمن يرتاب أن يلجأ الى الجنرال « ماك أرثر » نفســه ... وهو لن يستطيع أن ينفى الواقعة

موقف حرج

حدث ذات صباح أن كنت جالسا على افريز المقهى المعتاد بجوار صديقى حسن « بك » . وهو ليس من أصحاب الألقاب ولا حملة الرتب ولكن هكذا تناديه ، لأن حب المظهر شىء فى دمه ، والرغبة فى « التظاهر » طبع فيه

مر بى فى ذلك اليوم مصادفة ، فأجلسته وأكرمته ، ولم أكن رأيته منذ شهور . وأمرت له بفنجان من القهوة . وأخذنا فى الحديث . واذا شخص يدنو منى مبتسما مترددا فالتفت اليه وبادرته :

ـ من حضرتك ؟

ـ أنا اسمى ... مرقص ..

ـ طلباتك ؟

فمال على أذنى هامسا :

ـ هل تقبل أن تكسب خمسين قرشا فى اليوم ، وأنت جالس فى مكانك ، هذا ، بدون أن تصنع شيئا ؟

ـ بالطبع . لا موجب للرفض

قلتها على البديهة ، كأنها من وحى الشعراء ، فبادر الرجل يقول :

ـ اذن اتفقنا .. وهذه دفعة على الحساب ..

وأخرج بالفعل ورقة مالية من فئة الخمسين قرشا ، دسها فى كفى ، فوضعتها على الفور فى جيبى ، وأنا أقول :

ـ اتفقنا

وانصرفت عنه الى استئناف الحديث الذى انقطع بينى وبين حسن «بك» ، ولكن الرجل حدجنى بنظرة شديدة وقال :

ـ ألا تسألنى عن أصل الموضوع ؟!

ـ أى موضوع ؟

ـ لماذا اذن أعطيك هذه النقود ؟

ـ وهل أنا أعرف ؟ كل معلوماتى فى الأمر ، أنه قد تم بيننا اتفاق . ألم يحصل بيننا الآن اتفاق ؟. ألم يقع عرض وقبول ؟ أما من جهتى فقد قبلت وانتهى الأمر .. بهذه المناسبة أحب أن أستفسر منك لماذا تعطينى هذا المبلغ ؟

ـ أخيرا . اسمع يا سيدى . المسألة بسيطة . أنت تجلس هنا دائما تراقب المارة فى غير شىء ، فلن يكلفك جهدا أن تراقب سيدة يقال انها تتردد على هذه العمارة .. فتعرف لنا

فى أى ساعة بالضبط تدخل ، وفى أى ساعة تخرج ؟

ـ وما شأنك بهذه السيدة ؟

ـ لا شأن لى بها على الاطلاق ، ولم أرها قط ...

ـ عجبا !.. وما الداعى اذن لأن تجعلنى شرلوك هولمز فى مسألة لا تعنيك ولا تعنينى ؟!

فتنحنح الرجل ثم قال :

ـ فلنتكلم بصراحة . لا أحسن من الصدق والصراحة. أنا فى الحقيقة المكلف بهذه المراقبة فى نظير مبلغ جنيـــه ، ولكنى مشغول بعمل أخر،وليس لدى الوقت الذى يمكننى من أداء هذه المهمة..ففكرت فى أن أستأجرك من الباطن، ونتقاسم المبلغ ...

ـ عظيم يا مرقص افنـــدى . أنت فى الحقيقة هو الذى لا يصنع شيئا ويتقاضى خمسين قرشا

ـ وأنت أيضا لا تصنع شيئا

ـ كيف تقول ذلك يا مرقص أفندى ؟ فأنا الذى سأقوم بكل المهمة

ـ بالاختصار تريد أن أنزل لك عن جزء من حصتى ؟

فليكن ما تريد. أنا لا أحب أن أغضبك. اليك عشرة قروش أخرى ..

ـ خمسة وعشرين من فضلك !

ـ تريد أن تأخذ ثلاثة أرباع الجنيه وأنا الربع ؟!

ـ هكذا العدل

فنفخ الرجل غيظا . ولكن لم يجد من القبول بدا . فأخرج من جيبه فرق المبلغ ، ونقدنى اياه دون أن ينبس بحرف. فوضعت النقود فى جيبى ووعدته خيرا ، وانصرفت عنه الى محادثة جليسى . ولكن الرجل لم ينصرف ، ودنا منى يقول :

ـ حضرتك لم تسألنى عن السيدة

ـ أى سيدة ؟

ـ التى ستراقبها . كيف ستقوم بمراقبتها وأنت لم تعرف منى أوصافها ؟

ـ حقيقة . غاب عن فطنتى ذلك . اذكر لى أوصافها

ـ خير من هذا أن أريك صورتها ، لتنطبع ملامحها فى رأسك جيدا .. اليك الصورة .. انظر ..

وأخرج من محفظة جيبه صـــورة فوتوغرافية لامرأة مليحة أطلعنى عليها بحذر وهى فى يده . فقلت له :

ـ هل تسمح لى أن أحتفظ بالصورة ؟

ـ ليس هذا من المستحسن ، لأنى وعدت أن أحرص عليها ولا أسلمها لأحد

ـ ومن الذى أعطاك اياها ؟

ـ لا يا سيدى ، هذه أسرار خاصة ، لا يجوز لنا الخوض فيها . هذا لا يعنينا . فلنعمل فى حدودالتكليف ، ولا دخل لنا فى الباقى

ـ أهو زوجها ؟

ـ لا أظن

ـ لعله خليلها ؟

ـ ربما

ـ خليلها يشك فى سيرها ويغار على سلوكها ؟!

ـ فراستك فى محلها . على كل حال هذا باب أنصحك ألا تفتحه أو تفتش خلفه . أسرار العـائلات وخفايا البيوت يجب أن تكون عندنا فى الحفظ والصون . .

ـ مفهوم ، مفهوم

ـ والآن ... أنا معتمد عليك

ـ اطمئن ... فقط لا أخفى عنك أن ذاكرتى ضعيفة ولا يعتمد عليها ، فمن مصلحة العمل أن تترك لى الصورة، ولو ليوم واحد ، أرجع اليها وأطابق حتى لا يحدث لبس أو غلط . ان السيدات المارات كثيرات . ومن الصعب على مثلى أن يفرز هذه من تلك

ففكر الرجل لحظة ، وهرش رأسه قليلا ثم مد لى يده بالصورة وهو يقول : « لا بأس . أبقها معك اليوم » وأوصانى بالمحافظة عليها لحين ردها اليه فى الغد ..

وانصرف مرقص أفندى مشيعا بعبارات التجلة والاحترام وما كاد يختفى عن بصرى ، حتى ملت على جليسى حسن بك وقصصت عليه القصة من أولها الى آخرها ، مع حذف مسألة الخمسة والسبعين قرشا بالطبع، وختمت الكلام بقولى:

ـ أنت تعرف أن غفلتى أكبر من فطنتى ، وأن سهوى أكثر من صحوى ، أما أنت فكثير الفطنة شديد اليقظة ، فما رأيك لو قمت عنى بهذه المهمة .. وألقيت بالك الى كل سيدة تدخل العمارة أو تخرج منها ، وتطابق أوصافها على الصورة التى سأطلعك عليها الآن ؟.. على أنى قبل كل

شيء أحب أن أصارحك بأن هذا عمل بأجر ..

فضحك حسن بك وقال :

ـ لا عليك ... انني سأقوم به لوجه الله

ـ لا يا سيدى الفاضل . الشغل شغل . لا يوجد شيء اسمه لوجه الله . وهل تظن وجه الله يرى بلا ثمن ؟ هذا التعبير خطأ فى خطأ . ولست أدرى من ابتدعه . ان وجه الله لا يشاهد بالمجان ، بل بمصروفات . واليك البيان : لابد من دفع صدقة وزكاة ونذور وفداء وكفارة ونفقات حج وتكاليف زيارة واغاثة ملهوف والتضحية فى العيد بخروف .. الى آخر تلك المبالغ التى لو جمعتها لكان الحاصل رقما لا يستهان به . فدع فكرة التبرع وتناول أجر عملك طبقا للأصول المعمول بها فى جميع الاحوال

ـ أمرك . انقدنى الأجر اذن

ـ سأدفع لك ثمن فنجان القهوة .. أتقبل ؟

ـ قبلت

قالها راضيا مغتبطا ، ومد يده ليتناول من يدى الصورة. فقلت له :

ـ مهلا . يجب أن تردها الى قبل قيامك . فقد وعدت

أن أردها الى الرجل غدا ..

فقال بابتسامة بريئة :

ـ طبعا ، وما الداعى لاحتفاظى بها طويلا ؟.

فوضعتها فى كفه... فرفعها الى عينيه باسما بغير اكتراث. ولكن.. لم يكد بصره يقع عليها حتى امتقع لونه ، وارتجفت يداه ، وارتعشت شفتاه .. وهالنى أمره فقلت له :

ـ حسن بك .. مالك ؟

فلم يجب . وخيل الى أن أذنه لم تعد تسمع . وجمدت عيناه على الصورة وتصبب العرق من جبينه . فهززته بيدى قائلا :

ـ مالك يا حسن بك ؟ هل .. هل تعرفها ؟

فقال بصوت ميت ينشر من قبر :

ـ كيف لا أعرفها وهى .. زوجتى ؟!

وانتفض الرجل انتفاضة خلت روحه قد خرجت معها ووثب من مقعده ، وانطلق فى الشارع يعدو كالمجنون . ولم يلبث أن غاب عن نظرى الشارد ، وفكرى الذاهل . وكدت أصيح فى أثره :

ـ الصورة ... الصورة ..

ولكنى تذكرت فجأة كارثته . وأدركت أنها له . وأنه أحق أهل الارض بحملها والاحتفاظ بها. فملكت نفسى.. وثاب الى رشدى قليلا قليلا فلعنت يومى . ولعنت مرقص أفندى . ولعنت الخمسة والسبعين قرشا ، التى خسرت من أجلها صديقى ، وخسر الصديق زوجته وخسرت الزوجة خليلها. .ولو كنت أعلم أن المهمة ستؤدى الى هذه الفواجع كلها ، لطالبت مرقص أفندى بما لا يقل عن خمسة جنيهات

فهرس

صفحة

مقدمة ٧

مدرسة المغفلين ١١

الشيخ البلبيسى ٢٥

ابليس ينتصر ٣٣

ليلة الزفاف ٤١

طريد الفردوس ٦٩

لا كرامة لنبى فى وطنه ١٠١

الدنيا رواية ١١١

نصيب ١٣١

كليوباترة وماك ١٥٩

موقف حرج ١٧٩

كتاب الهلال

سلسلة كتب شهرية بثمن زهيد

هي خطوة ثقافيـة كبيرة قامت بها دار الهلال لتيسير القراءة المفيـدة للجميع .. ففى الخامس من كل شهر يصدر كتاب قيم لأحد كبار الكتاب فى الشرق والغرب ، فى اخراج أنيق وطباعة متقنة ، ثمن الكتاب الواحد ٨٠ مليما (ما عدا كتاب زينب ١٠٠ مليم) بخلاف مصاريف البريد المسجل، وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن الكتب الآتية:

عبقرية محمد
تأليف عباس محمود العقاد

غاندى : القديس الثائر
تأليف لويس فيشر

ماجلان قاهر البحار
تأليف ستيفان زفايج

زعيم الثورة سعد زغلول
تأليف عباس محمود العقاد

هرون الرشيد
تأليف الدكتور احمد امين

الزعيم احمد عرابى
تأليف عبد الرحمن الرافعى

أبو الشهداء
تأليف عباس محمود العقاد

بطلة كربلاء (نفدت نسخه)
تأليف الدكتورة بنت الشاطىء

جنكيز خان سفاح الشعوب
تأليف ف . يان

اشعب امير الطفيليين
تأليف توفيق الحكيم

قلب النسر
تأليف اوكتاف اوبرى

نفرتيتى ربة الجمال والتاج
تأليف صوفى عبد الله

السيد عمر مكرم
تأليف محمد فريد أبو حديد

حديث رمضان
تأليف الامام محمد مصطفى المراغى

عبقرية خالد
تأليف عباس محمود العقاد

الذئب الاغبر مصطفى كمال
تأليف الكابتن هـ.س. ارمسترونج

كليوباترة فى خان الخليلى
تأليف محمود تيمور

الاسلام دين الفطرة
تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش

لا تخف
تأليف ادوارد سبنسر كولز

مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية
تأليف عبد الرحمن الرافعى

القائد الاعظم محمد على جناح
تأليف عباس محمود العقاد

زينب
تأليف الدكتور محمد حسين هيكل

مذكرات عرابى (جزء أول)
تأليف الزعيم احمد عرابى

مذكرات عرابى (جزء ثان)
تأليف الزعيم أحمد عرابى

عبقرية عمر
تأليف عباس محمود العقاد

آمنة بنت وهب
تأليف الدكتورة بنت الشاطىء

فاطمة الزهراء والفاطميون
تأليف عباس محمود العقاد

عصا الحكيم فى الدنيا والآخرة
تأليف توفيق الحكيم

ابو نواس
تأليف عبد الرحمن صدقى

البؤساء
تأليف فيكتور هيجو

علمتنى الحياة
لنخبة من الشرق والغرب

فى الطريق
تأليف ابراهيم عبد القادر المازنى

ويمكنك الحصول على ما ينقص مجموعتك من هذه الكتب من قسم الاشتراكات بدار الهلال شارع محمد بك عز العرب (المبتديان) بالقاهرة وشركة الصحافة المصرية بشارع النبى دانيال بالاسكندرية ، ومن شركة الصحافة المصرية بميدان المحطة بطنطا ، ومن السيد محمود حلمى صاحب المكتبة العصرية شارع المتنبى ببغداد ، ومن شركة فرج الله للمطبوعات بشارع بيكو طريق المالكى ببيروت ، ومن المكتب العام لتوزيع المطبوعات لصاحبه السيد على نظام ببناية العابد بدمشق ، ومن جميع المكاتب الشهيرة ، واكشاك الصحف ما عدا الكتب التى نفدت نسخها كما ترى فى هذا الكشف

الكتاب القادم

لاتقتل نفسك!

تأليف

الدكتور بيتر شتانيكرون

AUB. LIBRARY

DATE DUE

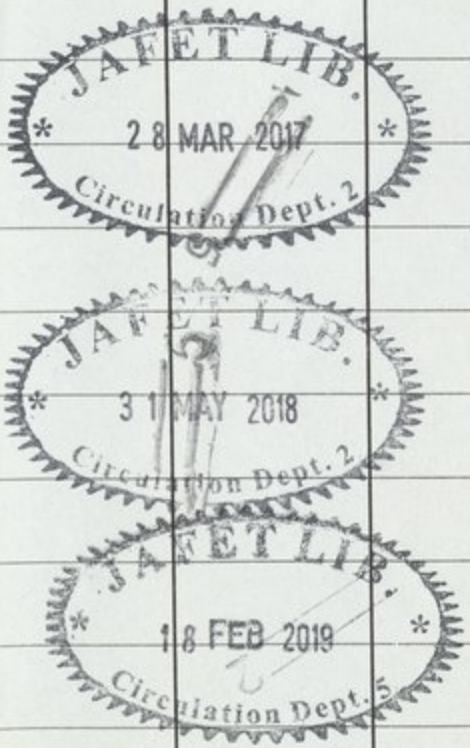

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00479988
A.U.B. LIBRARY

هذا الكتاب

لهذا الكتاب اسم غريب وضعه مؤلفه الاستاذ توفيق الحكيم ، لا حبا فى الغرابة ، ولا رغبة فى تشويق القراء الى ما فيه من غرائب القصص ، بل لأن هـذا الاسم ، وان كان عنوانا للقصة الاولى من قصصه ، فانه يكاد يكون عنوانا لجانب كبير من قصص الحيـاة وحوادث المجتمع . فالغفلة اساس كل خطأ مادى وادبى ، وأهم مصدر لكل اهمال وتقصير

فلولا غفلة الآباء ما درج الأبناء على الاستهانة بالواجب ونشأوا على تربية سيئة ، ولولا الغفلة ما هدمت حياة زوجية كان يسودها الهناء بين الزوجين ، ولولا الغفـلة ما تقطعت أسباب الصداقة بين الأصدقاء

ان هـذا الكتاب يحوى طائفة من قصص المغفلين فى هذه الدنيا ، ولكنه ـ الى ذلك ـ يحوى طائفة اخرى من قصص النابهين . وكما أن النباهة فى الحيـاة مدرسة يسعد فيها الناجحون ، فالغفلة مدرسة يشقى فيها الفاشلون ، وقد صور الأديب الحكيم هذا كله فى قصصه البليغة وفى اسلوبه الفنى الممتاز